

كلمات

لورا ستولر...
عن الوعي
المقهور واللغة
المصادرة



أحوال الناس

مستشفيات
النبطية
الطباة تحت النار



6

أزمة المحروقات
تشريع «المجازر»
في الغابات



5

تشريع القنب
طائفية في
الحشيشة أيضاً!



4

سلام يريد الإقلاام من القليعات... الآن! 2



إيران ترجّح الحرب
للا سقّف للردّ

10

تحقيق

بعد ستة أعوام على صدور القانون 178 المتعلّق بالتريخ لزراعة نبتة القنب الهندي للاستخدام الطبي والصناعي، وعام على تعيين أعضاء الهيئة الناطمة لهذه الزراعة، لا تزال المراسيم التطبيقية غائبة، وسط كباش سياسي غير معلت حول طائفة المدير العام للهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي. خسر المزارعون ستة مواسم متتالية، فيما تعدهم الدولة كل عام برعاية هذا القطاع وتنظيمه. ثم تتراجع قبيل انطلاق الموسم، واليوم، يتعرّز اليقين بأن لا استلام هذا الموسم، وربما ليس في المواسم المقبلة، في ظل غياب أي خطوة تنفيذية جديدة

ستة أعوام على تشريع القنب طائفة في الحشيشة أيضاً!



(هيلم الموسوي)

القرار الحاسم، كانوا إمّا يخزّنون المحصول، أو يلجأ بعضهم إلى بيعه عبر التهريب. وبحسب ناصر الدين، فقد عمل فاضل على هذا المسار فعلاً، واستقدم شركة كندية أيدت استعدادها لتمويل العملية كاملة. غير أن الأعمال سرعان ما تراجعت،

لا سلالة واحدة من القنب

بحسب مروة بأن لا سلالة واحدة من القنب الهندي مناسبة لجميع الاستخدامات الطبية، فالتركيبية الكيميائية المكونة من CBD و THC هي التي تحدد الاستخدامات العلاجية. فعلى سبيل المثال، هناك المستحضرات الغنية بCBD، وتستخدم لعلاج بعض أنواع الصرع عند الأطفال. وحالات القلق، وهناك المستحضرات التي تحتوي على نسب متوازنة من CBD و TSH والتي تُستخدم بشكل رئيسي في معالجة الألم العصبي والتصلب اللويحي. أما المستحضرات الغنية ب THC فتُستخدم بصورة رئيسية في بعض حالات الألم الشديد والغثيان والقيء الناتجين عن العلاج الكيميائي وفقدان الشهية.

ومن هذه الأمثلة، يمكن استخلاص العبرة التالية: القنب المزروع في لبنان فيه تنوع ويحتوي على سلالات غنية بCBD وأخرى غنية بTSH وسلالة ثالثة تحتوي على نسبة متوازنة من CBD و THC. ولذلك، لا مانع من استثمار هذه الميزة.

كاملة، والاضطلاع بدورهم في رفع الحرمان المزمن عن المنطقة، والعمل الجدي والسريع لتسهيل انطلاق الزراعة هذا العام، بما يلتي تطلعات المزارعين ويصون كرامتهم وحقهم في العيش الكريم». كما تقرّر تشكيل لجنة خاصة منبقة عن اللقاء، تتولى «إجراء زيارات عاجلة إلى الرؤساء الثلاثة، لوضعهم أمام مسؤولياتهم الوطنية، والدفع نحو اتخاذ قرار فوري بتجنيع المباشرة بالزراعة هذا العام، وإنقاذ هذا القطاع الحيوي قبل فوات الأوان». غير أن ذلك لم يحدث.

عراقيل تطيح بالقانون

خلال الفترة التي تلت تعيين أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين. ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين. ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين.

ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين. ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين.

ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين. ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين.

ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين.

ومن خلال 12 دراسة أجراها مروة أعضاء الهيئة الناطمة لزراعة نبتة القنب الهندي، تعرّف المزارعون إلى رئيسها داني فاضل وعضو الهيئة الخبير في القنب الطبي الدكتور محمد مروة، بعد زيارتهما المتكررة إلى المنطقة للاطلاع على واقع الزراعة وأوضاع المزارعين.

تقرير

أزمة المحروقات تشرّع «المجازر» في الغابات

غوة قهد

على أبواب فصل الشتاء تبدأ أرباب جديدة من معاناة اللبنانيين من الغلاء، فكلقة التدفئة لا تقل قيمة عن فاتورة الكهرباء نتيجة الاستخدام المتواصل للمراوح والمكثفات في أشهر الحر، ما يدفع عدداً من العائلات، خاصة التي تقيم في الأطراف والقرى الجبلية إلى اعتماد الحطب بديلاً عن المازوت للتدفئة، خاصة بعد أن بلغ سعر صفحة المازوت نحو 29 دولاراً.

في القرى والأطراف، تنحصر خيارات العائلات للتدفئة في فصل الشتاء بين الحطب والمازوت، المثلث يشتركان بالتكلفة العالية على جيوب الأسر. فالاعتماد على المازوت يستنزف ميزانية الأسرة، والحطب لم يعد رخيصاً كما في السابق، إذ يراوح سعر طن الحطب بين 250 و350 دولاراً، وهو ما يدفع بعض الناس إلى اللجوء إلى ممارسات غير قانونية، تتمثل بقطع الأشجار المعفّرة واستخدامها حطباً للتدفئة. ولكن لم يعد الحطب خياراً

قانون الغابات

يخضع قطع الأشجار في لبنان لقانون الغابات، سواء كانت موجودة في أملاك الدولة والبلديات أو في الأملاك الخاصة والأوقاف والجمعيات. وبالتالي، لا يحق لصاحب الأرض قطع الأشجار بقرار منفرد، بل يتطلب الأمر ترخيصاً مسبقاً من وزارة الزراعة. وهذا لا يعني هذا الأمر فتح الباب أمام التحطيب، إذ تنص الوزارة التراخيص بحالات محدّدة، من بينها وجود رخصة بناء، قانونية، أو ضرورات تتعلق بالسلامة العامة ضمن شروط معينة، إضافة إلى قطع بعض الأشجار المزروعة وتشجير الأشجار التزيينية الواقعة على الطرقات العامة وفق الأصول. وحتى الأشجار الحرجية اليابسة كلياً، التي سمحت الوزارة بقطعها استثنائياً ضمن آلية «القطع الصحي الطارئ» في آب 2026، تخضع لكشف فني مسبق وإشراف مباشر من مراكز الأبحاث. وعند ضبط أي مخالفة، ينظم حرّاس الأحراج محاضر ضبط، وتصادر الأحطاب والأدوات والآليات المستخدمة، فيما يُحال المخالفون إلى الجهات القضائية المختصة بالتنسيق مع القوى الأمنية.

غير أنّ تطبيق هذه الإجراءات يصطدم بمحدودية الإمكانيات البشرية واللوجستية المتاحة لحراس الأحراج، في وقت تدفع فيه الظروف الاقتصادية وارتفاع كلفة التدفئة بعض المواطنين إلى البحث عن بدائل أقل كلفة، وسط استغلال تجار الحطب الطلب المتزايد لتحقيق الأرباح، ولو كان ذلك على حساب الثروة البيئية.

أعمال تحطيب في منطقة البقاع (هيلم الموسوي)



الإبادة السياسية بعد البشرية والعمرائية

سعد الله مزعلاني*

بامتياز جعلها تتفوّق على نفسها وعلى برابرة كل العصور، تواصل حكومة إرهاب الدولة، الفاشية الصهيونية، عدوانها على الشعب الفلسطيني، يستمر ذلك برعاية «خطة ترامب» بشأن غزة، وهي خطة تشكّل امتداداً وتوتيجاً لنهج أميركي تقليدي في رعاية المشروع الصهيوني وتوفير الدعم الشامل له في كل الحقول والأوقات. بلغ هذا النهج ذروته في حرب الإبادة في غزة، والإرهاب والتدمير في لبنان، والاستيطان والترويع في الضفة الغربية، والعدوان الصهيوأميركي المتواصل على إيران. للسنة الرابعة على التوالي، يستمر هذا النهج، مُقترنا بمحاولات دؤوبة ومحمومة لتزوير الواقع والأحداث والأسباب والنتائج. أمّا الهدف، فهو تنفيذ ما يعادل عملية إبادة سياسية عبر ترسيخ رواية متكاملة ذات أغراض وأهداف خبيثة: لا تتناول الحاضر فحسب، بل المستقبل بالدرجة الأولى.

وقعت عملية «طوفان الأقصى» في 7 أكتوبر قبل ثلاث سنوات، كردّة فعل دفاعية خالصة ضد مشروع تصفوي «إبراهيمي» للضفة الفلسطينية. كانت المملكة السعودية حلقة القامة الأخطر. أعلن ولي العهد السعودي (في 20 أيلول عام 2023 في مقابله الشهيرة مع «فوكس نيوز» الأميركي أن الرياض «قطعت شوطاً كبيراً» في مسار التلبيع مع الكيان الصهيوني (برعاية أميركية كالعادة)؛ أمّا السبب الداخلي فكان تصاعد الغارات، والاعتداءات، والحصار الخانق على غزة الذي حفّز، على مدى سنوات، سلسلة مبادرات تضامنية لكسره. تعرّض التضامنون لعنف بلغ حدّ القتل المتعمّد. سقط العديد (أجناب وعرب) شهداء وجرحى.

تميّزت المرحلة أيضاً بعاملين أساسيين:

الأول، وجود سلطة في تل أبيب، هي «الأكثر تطرفاً» في تاريخ الكيان (كما وصفها الرئيس بايدن!) في مسائل التمييز العنصري والمستوطنات ونقض الاتفاقات) المُفَرّطه أصلاً) وضم القدس.

الثاني، نمو عناصر المواجهة الدفاعية، السياسية والشعبية والعسكرية في قطاع غزة، مع توفر تحالفات داعمة في نطاق «محور الممانعة» خصوصاً. هكذا كانت عملية «الطوفان» جزءاً من الصراع المتدّد، ومحطة أساسية من محطاته، وانتفاضة ثالثة من نوع جديد. كانت العملية تلك سريعة وناجحة وفعّالة إلى حدّ الإبهار. لكن العدو يادر، بتشجيع أميركي وغربي، ويتواطأُ رسمي عربي، إلى ردّ تصعدي هجمي إرهابي شامل: مستهدفاً، بالدرجة الأولى، المدنيين والعمران والمؤسسات والبنى الخدمية كافة في نطاق مخطط إبادة لم يشهد التاريخ لفظاعته مثيلاً!

اليوم، وفي مستهلّ السنة الرابعة، وفيما تستمر الإبادة، ويتوسع العدوان في الضفة الغربية المحتلة ولبنان وسوريا وإيران، يجري من قبل قوى عديدة، عربية ولبنانية أيضاً، تصوير تلك المعركة بأنها كانت مغامرة (في أحسن الأحوال)، وبأنها كانت، حتى، مؤامرة (في النسخة الرائجة حالياً)؛ ما يروج أدكياه خارقون. يقال اليوم، بأنّ نتنهاو كان على علم مُسبق بالعملية في سياق تواطؤ بينه وبين القائد الشهيد يحيى السنوار، أي بين القاتل والمقتول. منهم من يسحب الأمر على حركة «حماس»، وحتى على جمهورها اللذين توطأ لتنفيذ إبادة ذاتية لصالح إسرائيل!

يستشهد هؤلاء بأن نتنهاو قد تجاهل تحذيرين من قبل الأمير محمد بن زايد الإماراتي، وكذلك من قبل جهاز أمني مصري. لا يجري التعامل مع ما ينسب إلى الطرفين الإماراتي والمصري على أنّه خدمة مدانة لمصلحة حكومة العدو، وأنّه كان الأصح أن يجري تحذير «حماس» من مخاطر عملية قد تُستغل لتنفيذ رد إسرائيلي غير متناسب... لكن وراء هذه المقاربة عدّة أهداف:

- الأول، خدمة الإرهابي نتنهاو (وقريبة الفاشي) في معركته الانتخابية بتصويره صانعاً لماثورة، وليس مرتكباً لإهمال التحذير الخارجي والاستخباراتي الداخلي! -الثاني، إدانة العمل المقاوم ضد العدو باعتباره عملاً مغامراً في كل مكان وزمان؛ في غزة أو في الضفة أو في لبنان أو في سوريا أو في إيران.

- الثالث، تبرير الإبادة والسعي لإجراح أهدافها عبر «إبادة سياسية» أيضاً لكل مقاومة ضد العدو. لا ينطلق هذا النهج من مجرد التعامل مع ميزان قوى (حيث «يكثّر السلاخون بعد وقوع البقرة»)، بل من محاولة ترسيخ ذهنية الإنعاع والرضوخ والاستسلام... وهو أمر تجري محاولات تعميمه بوصفه قاعدة ينبغي أن تخضع لها كل النزاعات في العالم التي تشعلها الإدارات الأميركية وأتباعها وأشباهها.

- الرابع، يلقي التفسيران على هدف واحد: التشكيل وزرع اليأس وذهنية الخسارة بوصفها ثمرة خطأ أو تهور، وليست نتيجة عدوان تكالبت على تنفيذه وتبريره ودعمه قوى دولية وإقليمية ومحلية تابعة لها، من أجل النهب والهيمنة والليل من حقوق الشعوب على امتداد العالم!

لا يلتفت أطراف «الإبادة السياسية»، الكبار والصغار، إلى ما سطرته المقاومة في فلسطين ولبنان، من بطولات فاقت كل تصوّر... لا يلتفتون أيضاً إلى صمود إيران وشجاعة قيادتها في مواجهة العدوان الصهيو/ أميركي، وهم يصمّون أسماعهم، بعناد ومكابرة، عن تأثير تلك البطولات والتضحيات وذلك الصمود في إطلاق مؤشرات تغيير وإعادة على مستوى العالم. إن قضية فلسطين قد أصبحت قضية العصر. إنها هي التي يدور بشأنها الانقسام، وتتصارع اللوائح الانتخابية، وتتصاعد عزلة العدو حتى في القلاع التي وفّرت كل أشكال الدعم لتأسيسه وتوسّعه وإجرامه. لم يكن الكيان الصهيوني معزولاً ومُستنزفاً كما هو اليوم. إن أفضل خدمة يمكن أن تُقدّم له هي تصويره كالي القدرة بحيث لا سبيل أمام ضحايا إجرامه وعدوانه إلا الخضوع والاستسلام. الكيان الصهيوني هو أحد أسوأ الظواهر التي ولدها قوى النهب والعدوان والهيمنة وفي طليعتها الرأسمالية/ الإمبريالية الأميركية! الإمبراطورية الأميركية تقاات الآن، باقذّر وأبشع الوسائل، للحفاظ على ميزات تفوق وتفرد، وتسلط في شروط متحوّلة لغير مصلحتها، لخلاف ما كان في السابق. هذا ينطبق على وليدها الكيان الصهيوني الذي ينزلق إلى مُجازفات ستتقلب عليه عاجلاً أم آجلاً.

*** كاتب وسياسي لبناني**

شرعيّة عمليّة السابع من أكتوبر

مليّر شفيق*

ثمة أبعاد متعدّدة وإستثنائية لعملية 7 تشرين

الأول/أكتوبر 2023، عسكرية، وسياسية، ومبدئية، وإستراتيجية، ومستقبلية، وإنّ أول هذه الأبعاد يبدأ بشريعتها وعدالتها، بما لا يسمح باعتبارها عدواناً لا شرعية له، بالنسبة إلى القانون الدولي، وذلك لكونه الحكم المُعترف به دولياً في تحديد عدالة الحروب. وهو ما تُرجع في ميثاق هيئة الأمم المتحدة، كذلك، طبعاً، هنالك معايير ومبادئ أخرى، تعتمد في الصراعات والحروب، ولكنها

الحروب، وهو ما تُرجع في ميثاق هيئة الأمم المتحدة، كذلك، طبعاً، هنالك معايير ومبادئ أخرى، تعتمد في الصراعات والحروب، ولكنها القانون الدولي، كافيض مرجع، يعتبر مُقنعاً دولياً، وراياً عاماً عالمياً، ونُحرجاً للكيان الصهيوني وحلفائها، أو من يأخذون موقعاً

لا يحقّ لأيّ كان ومنه يكون الأ يعتبرها عملية مقاومة مشروعة وفقاً للقانون الدولي

ناقداً لعملية «طوفان الأقصى»، أكانوا من

أهل البيت، أم كانوا من الأبعاد، أم كانوا ممن بينهم. ونتج من هزيمة الجيش الصهيوني، من أسر لمئات المستوطنين والعسكريين، فقد جاء مُلحقاً بها، ثم سرعان ما تبدّدت

بشعبها الذي كان يسكنها قبل أستعمار. ويعتبر أن كل إجراء قانوني، أو جغرافي، أو سكني، يفرضه الاستعمار، على البلد المعني، كما كان حال فلسطين، غير شرعي. الأمر الذي يقر أن كل ما حدث، من هجرة صهيونية، وإقامة كيان صهيوني، غير شرعي.

ومن هنا، نُعتبر قرار الجمعية العامة، الرقم 181 لعام 1947، والذي قسّم فلسطين، وأعطى «حق» إقامة دولة يهودية فيها، غير شرعي، ومُخالفًا للقانون الدولي، ولِمِثاق هيئة الأمم المتحدة. ومن هنا، أعطى القانون الدولي للشعب الفلسطيني حق استخدام كل أشكال

المقاومة ضد الاحتلال والكيان الصهيوني، ثم أصدرت هيئة الأمم المتحدة، بعد عام 1967،



وظيفة فلسطين وحسبقتها

هادي قبيسي*

فلسطين موضوع للتحزّر لا مجرد جغرافيا، فقد حكمت أسباب تاريخية وثقافية أن تكون هذه البقعة حالة ذات وظيفة إنسانية علما بمدّ ظل تأثيرها إلى شعوب الأرض قاطبة، ولهذه الوظيفة - التي انتقلت إلى حالة الغفالية بعد السابع من أكتوبر - مجموعة عوامل تأسيسية: الأول، كون احتلال فلسطين نقطة ارتكاز الهيمنة العدوانية على منطقتيّنا، والثاني، كونها نقطة توافق الشعوب المسلمة. وقد ظهر بعد «الطوفان» عاملان إضافيان لا يقلّان أهمية: أولهما تحوّلها إلى نقطة إجماع شعبي عالمي، وثانيهما أنها فرضت نفسها شأخصا بغزل الحكومات التابعة في بلاد العرب والمسلمين ويضعف التحفّز الشعبي للدفاع عنها.

تشكّلت هذه الوظيفة من هذه العوامل، وسمحت لفلسطين أن تكون حافزا تحرريا هائلا للتأثير، بما لم يكن ريثما متوقعا، لكن السؤال الذي يستحق الوقوف: هل نالت فلسطين وإهلها مُكتسبات موازية لمقابل هذه الوظيفة الفاريخية؟ أم أن جهد الغرب والصهاينة والعرب قد نجح في فصل الساحات ومنع دخول فلسطين حالة التغيّر التاريخي المنشود؟ فهل كانت الوظيفة على حسابها أم لأجلها؟

تقدّمت غزة بالتحديد نحو المبادرة، فهي نصل فلسطين وعدمة مقاتليها، وأدت تضحياتها العظيمة وصبر أهلها وثباتهم إلى تقويض الجذور المؤسسة للكيان الغاصب المرتكز على نفوذ عميق في الدول الغربية في تأسيسه وبقائه وقدراته. ومنع ذلك التقويض، الذي لم يكتمل حتى الآن، تحول الحرب إلى مواجهة مباشرة وشاملة

مع المجموعة الغربية، وقلّص بالتدريج من الدعم التسليحي والسياسي، ولا يزال خط التأثير ممتداً نحو محطات الانتخابات القادمة في تلك الدول، لتتغير الحكومات والقوانين والقرارات لصالح فلسطين بدرجات متفاوتة لكنها حقيقية ومؤثّرة. بعد أن أدّت غزة وظيفتها الأساسية في عزل الكيان (قالها نتنهاو بالحرف: كانت حماس تريد عزلا)، بدأت معركة الساحات في لبنان ثم في إيران مروراً باليمن والعراق، وقد فشّل الكيان في حسم تلك المواجهات منفردا، ثم انتقل بعد حرب رمضان إلى حالة تعدد الأولويات وتحقيق درجة من الإشتباع.

دخلت الولايات المتحدة إلى جانب الكيان مباشرة في الحرب لتعويض الفشل في الحسم، على أساس أن استهداف الرأس سقضي على الأطراف، وكانت النتيجة استهدافاً مدمراً للقواعد العسكرية وإسقاط تكنولوجيا الدفاع الصاروخي وكشف ضعفها وتخلّفها، واكتشاف تواطؤ دول عربية حاربت كتفا إلى كتف مع نتنهاو. شكّلت حرب إيران نقطة النذرة للعدوان الصهيوني/الأميركي/العربي على محور المقاومة، لتبدأ بعد ذلك مرحلة الدفاع المرتكز على مشروعية شعبية والهادف إلى تحرير غرب آسيا من الهيمنة العسكرية المباشرة، بالاستفادة من التراجع الأمريكي وتقييد الكيان المؤثّق.

يستنزّف الدفاع المحلي في إيران واليمن بنية الهيمنة بشكل غير مسبوق منذ بداية الاستعمار، ويُضعف الجذر العربي لوجود الكيان عسكرياً واقتصادياً، ويؤدّر فيه سياسياً، كما يُضعف بنية ومنظومة الدفاع عن إسرائيل، قيادة السنكثوم والدول الخاضعة لإدارتها، ويخفق شرايين النفط والمال التي تمّول الغرب ومصانع سلاحه وديونه، بما يجعل من «إسرائيل» عبئاً متعذّد المستويات، ويبطل وظيفتها بالتدريج بالنسبة إلى شعوب الغرب والكثير من نخبه وشركائه.

هذا المسار الذي لا يتحرك الآن داخل أرض فلسطين بل في جوارها الجيوبولتيكي القريب، ضاربا بعنق بشكل متزامن في جذور البنية الغربية الداعمة، يستكمل ما بدأتها غزة بشكل عضوي، فإن كانت فلسطين قد حاربت مشروعية الغاصب وفضحته، فإن معركة النحر الإقليمي تستهدف جدوى الكيان والمصلحة من بقائه، وبهذين المستويين تتكامل مقدّمات التحرير، والتي يصعب تخنيل خوض حرب حقيقية لتحرير فلسطين دون تحقيقها.

*** مدير مركز الاتحاد للإبحاث والتطوير**

هاذا بعد تبني حزب «الخطر» البريطاني طرح «الدولة الديمقراطية الواحدة»؟

آلآ علم الدين*

في الرابع من تشرين الأول الجاري، اعتمد حزب الخضر البريطاني رسمياً قرارًا يحدد هويته كحزب مناهض للصهيونية، ويدعو إلى إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية واحدة يتمتع فيها الجميع بحقوق متساوية. ما هي النقاط البارزة التي تضمنها القرار؟ ما مدى صحة الاتهامات الموجهة إليه بمعاودة اليهود والتعدي على الفلسطينيين؟ وما المسؤوليات التي يربّتها هذا القرار على الفلسطينيين وحلفائهم؟

النقاط البارزة

يحمل هذا القرار عنوان «الصهيونية هي عنصرية». ويشير إلى الصهيونية باعتبارها أولاً أيديولوجية تدعو إلى إقامة «دولة يهودية قومية عرقية في فلسطين التاريخية على حساب استبعاد وأو هيمنة السكان غير اليهود». وثانياً ممارسة تسببت في «تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم وتشريدهم ومصادرة ممتلكاتهم وحرمانهم من حقوقهم وتدميرهم». كما يشير إلى حقيقة أن الصهيونية استندت إلى أنظمة الاستعمار الاستيطاني الأوروبي، وأنها أوجدت هرمية عرقية بين اليهود. وبناءً على ذلك، يصف الصهيونية بأنها عنصرية ويعرّف حزب الخضر بأنه مناهض للصهيونية.

كما يدعو القرار إلى إقامة دولة ديمقراطية واحدة في فلسطين، بما في ذلك حق العودة. ومن المؤثر للاهتمام أنه لا يضع المستعمرين والمستعمرين على قدم المساواة بالحدثين عن «إسرائيل-فلسطين»، أو

عن دولة ثنائية القومية. بل يتحدث صراحة عن دولة فلسطينية واحدة، والإشارة إلى هوية الدولة الفلسطينية منسجمة مع اعتباره إسرائيل مشروعاً استعمارياً، وتشير إلى الحاجة إلى تفكيك جميع علاقات القوة الاستعمارية من أجل إتاحة حق تقرير المصير الحقيقي للفلسطينيين. وهو موقف بديهي لكنه جري، ويكشف استعداد الحزب للمواجهة.

هل تؤدي إقامة دولة فلسطينية واحدة إلى قمع اليهود؟ لا على الإطلاق. فالقرار ينص صراحة على أنه «لا يستهدف الخلفية الدينية أو العرقية لمن قد يُعرفون بأنهم صهاينة» ويرفض «المساواة بين الهوية اليهودية والأيديولوجية الصهيونية أو الممارسة السياسية». ولتبديد أي شكوك متبقية، يدعو إلى «حقوق متساوية للجميع».

وأخيراً، يشير القرار إلى الأراضي الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط باعتبارها «فلسطين التاريخية». غير أن تلك الحدود رسمها الاحتلال البريطاني. وكان عدد من المناطق التي استقطعت منها، مثل مرتفعات الجولان أو جنوب لبنان الحالي، جزءاً من فلسطين تاريخياً. وكانت الإدارة السياسية لبلاد الشام تختلف تماماً عن المفهوم الأوروبي للدول ذات الحدود الثابتة. لذا فالتعبير الأكثر دقة هو «فلسطين الانتدابية» أو «فلسطين عام 1947»، أو ببساطة «فلسطين».

هل يعادي القرار اليهود؟

يستند الاتهام بأن القرار «معادٍ للسامية» إلى الادعاء بأن الصهيونية هي ببساطة «حق الشعب اليهودي في تقرير المصير». هناك بالفعل عدة تعريفات للصهيونية، وهذا أحدها. ومع ذلك، فإن القرار يُعرّف الصهيونية التي يعتبرها عنصرية بأنها «أيديولوجية سياسية دعت إلى إنشاء – والآن بعد أن أصبحت موجودة، إلى استمرار – دولة يهودية قومية عرقية في فلسطين التاريخية على حساب استبعاد و/ أو هيمنة السكان غير اليهود». ويتبيّن أن يستند أي ملاحظات على القرار إلى تعريفه هذا وليس إلى تعريف لا يبتناه.

علاوة على ذلك، فإن تعريف القرار هو بالفعل التعريف الذي اعتمدته الحركة الصهيونية منذ أكثر من قرن. على سبيل المثال، لا يذكر إعلان بلفور عام 1917 حق تقرير المصير للشعب اليهودي. بل يتحدث عن «إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين»، وهو مسعى محدد لم يُستمر اليهود في جميع أنحاء العالم بشأنه ولم يشاركوا في تقريره بأي شكل من الأشكال. كما تتبع دولة إسرائيل نفس تعريف الصهيونية. على سبيل المثال، على الرغم من أن رئيس حزب الخضر زاك بولانسكي يهودي، فقد منعه الكيان من دخول الأراضي المحتلة. ليس لأنه تخلى عن يهوديته بل لأن حزبه ناهض الصهيونية. وبالتالي، فإن الصهيونية وإسرائيل لا تتعلقان بتقرير المصير لليهود، بل باستعمار فلسطين.

أخيراً، فإن اليهود جزء من عشرات المجتمعات ومواطنين في عشرات الدول حول العالم. وقد يشعرون بأنهم يشكلون شعباً أو أمة مع من يشاركونهم هويتهم. حالهم حال هويات أخرى، لكن هذا لا يمنحهم

حقوقاً سياسية. على سبيل المثال، يعتبر المسلمون أنهم ينتمون إلى أمة واحدة. لكن هذا لا يمنحهم الحق السياسي في دخول الأراضي الإسلامية المقدسة مثل مكة المكرمة دون إذن مناسب من السلطات السعودية. إن تسييس الهوية اليهودية، أي اعتبار أن لليهود حقوقاً سياسية جماعية على أساس كونهم يهوداً وليس على أساس كونهم مواطنين في دولهم، هو منطلق هوياتي توظفه الصهيونية، وليست مفهوماً عالمياً يُعد تحديه عملاً عنصرياً.

هل يتعدّى القرار على صف الفلسطينيين بتقرير المصير؟

يستند هذا الاتهام إلى فرضية مفادها أن الفلسطينيين وحدهم من يقررون الحل المناسب لاحتلال أرضهم. ورغم أن هذا قد يبدو معقولاً أو ربما حتى مناهضاً للاستعمار للدولة الأولى، إلا أن معارضة إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية في كل فلسطين باسم حق الفلسطينيين في تقرير المصير هي تناقض مثير للسخرية. فالديمقراطية، بحكم تعريفها، هي حكم الشعب، والدول الديمقراطية هي بالضبط الأداة التي يحقق بها الشعب حقه في تقرير المصير.

يشير البعض إلى استطلاعات الرأي التي تظهر أن عدداً من الفلسطينيين يؤيدون «حل الدولتين» – وهو تعبير ملطف لاحتلال 78% من فلسطين، أشبه بتسمية الانغصاف «حل الجسدين». ومع ذلك، فإن هذا لا يأخذ في الاعتبار أربعة عوامل على الأقل: أولاً، يتم تمويل غالبية هذه الاستطلاعات من قبل شركات أميركية أو أوروبية أو تقبل وجود إسرائيل.

ثانياً، تستهدف تلك الاستطلاعات الفلسطينيين في الضفة الغربية، أي الفلسطينيين الذين يستفيدون من وجود نوع ما من السلطة الفلسطينية، حتى لو كان ذلك بدرجة محدودة للغاية، والذين يفضلون

بطبيعة الحال عدم فقدان ذلك. ثالثاً، غالباً ما تقشل تلك الاستطلاعات في تقديم تعريفات مناسبة، مثل ما إذا كان طرح «الدولتين» نموذجاً نهائياً أم مؤقتاً، أو ما إذا كانت «الدولة الواحدة» ستكون دولة فلسطينية سيّدة أم دولة لا تزال تضم عناصر من الصهيونية.

لكن العامل الرابع، والأهم، هو أن مثل هذه الاستطلاعات لا تأخذ في الحسبان أن الفلسطينيين يعيشون تحت تهديد مستمر. فهل تنوّع أن يفضل أي فلسطينية؟ فعلياً احتلال 78% من أرضه على تحريرها؟ ليس

من المعقول أكثر أن نستنتج أن الغالبية الساحقة ممن يرتضون وجود الاحتلال يرتضونه بسبب اليأس والقمع لا بمل، إرادتهم؟ وبالفعل، هل استطاع العالم رأي فرنسا قبل تحريرها من الاحتلال الألماني، أو أوكرانيا قبل إرسال الأسلحة إليها لمحاربة الاحتلال الروسي، أو جنوب أفريقيا قبل الوقوف إلى جانبها ضد نظام الفصل العنصري؟ إن استطلاعات الرأي في ظل الاحتلال لا معنى لها على الإطلاق. وإذا أخذ الفلسطينيون، في فلسطين محرورة، القرار الغربي بالتنازل عن 78% من أراضيهم، فسيفسكون ذلك بإرادتهم الحرة التي يجب على الآخرين احترامها. أمّا حتى ذلك الحين، فإن الوقوف إلى جانب حق الفلسطينيين في تقرير المصير يعني تحديداً دعم تفكيك الدولة اليهودية وإقامة دولة فلسطينية واحدة على أنقاضها.

هاذا بعد القرار؟

ليست هذه المبادرة الأولى من نوعها. فقد أعربت عدد من الحركات، مثل «مواطنون ومواطنات في دولة» (لبنان) و«حزب الوحدة الشعبية الديمقراطية» (الأردن) و«الاشتراكيون الديمقراطيون في أميركا» (الولايات المتحدة) و«ديم 25» (أوروبا)، وغيرها، عن مواقف مماثلة. إلا أن هذه المبادرة أثارت ضجة أكبر. ومن شأن ذلك أن يدفع عدداً من الأطراف الفاعلة إلى التحرك في هذا الاتجاه الديمقراطي التحرري. أولاً، على الفلسطينيين في فلسطين الشتات إعادة إحياء رؤيتهم التاريخية لدولة فلسطينية واحدة يتمتع جميع مواطنيها بحقوق متساوية. ثانياً، مع رؤية قادة المقاومة، وهذا يعني صياغة وثيقة واحدة توضح هذا البرنامج. كما كان الحال مع الميثاق الوطني الفلسطيني قبل أوسلو. وحديثاً لا تتحمل المنظمات السياسية الفلسطينية هذه المسؤولية. يجب على الفلسطينيين الأفراد تحمّلها. ثانياً، يجب على المنظمات المؤيدة للفلسطينيين والمناهضة للصهيونية أن تتجاوز مجرد الوقوف ضد الإبادة الجماعية أو التعبير عن مواقف غامضة تتجنب تحدي وجود الكيان. إسرائيل هي دولة عنصرية احتلالية استيطانية إبادةية وهي خطر على فلسطين وبلاد الشام والعالم. لقد انتهى زمن اللاحول البائسة. يجب أن نمضي قدماً نحو تفكيك الدولة الاستيطانية وإقامة النقيض التام لها.

*** كاتب**

على الخلاف

«لا خطوط حُمر» في الردّ المستقبلي
إيران ترجّح عودة أميركية إلى الحرب

طهرات - محمد خواجهوني

في ظلّ ضبابية صالات الحرب الإيرانية - الأميركية، تشير التقديرات الصادرة عن الأجهزة الأمنية الإيرانية المعنّية بصنع القرار، إلى أن احتمال نشوب حرب أوسع بات مُرجّحاً للغاية، الأمر الذي دفع طهران إلى إعلان جاهزيتها الكاملة لمواجهة مرحلة جديدة من التصعيد. ومع ذلك، لا تزال إيران متمسكة بفتح كوة في جدار الدبلوماسية، حيث من المقرر أن تنقل عبر الوسطاء، خلال الأيام المقبلة، رثما الرسمي على الموقف

القوة العسكرية لا يضمن، بالضرورة، تحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى، وعليه، فإن إدارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، ورغم تمسّكها بخطاب التهديد واستعراض القوة، تُبدي حذراً استراتيجياً في ما يتصل بقرار الحرب، وهي على الأرجح لا تزال تؤثر خيار «الضغط الأقصى

والاستنزافي» - بما يشمل الحصار البحري والعقوبات - متوخّية من ورائه إتهاك قدرات إيران. على أن المصادر تؤكّد أن الرؤية الغالبة داخل المؤسسات، وفي مقدّمتها «المجلس الأعلى للأمن القومي»، تميل إلى ترجيح خيار تجذد الحرب على سيناريو التوصل إلى اتفاق، أخذاً

في الاعتبار أن أيّ تسوية متوازنة نسبياً على غرار «تفاهم إسلام آباد»، لا تحظى بقبول واشنطن، وأن طهران ترفض، من جهتها، رفضاً قاطعاً الخضوع للمطالب والشروط الأميركية القصوى. وتضيف المصادر الأمد، لا يضمن كشر إرادة طهران، ستسعيان على الأرجح إلى استهداف

برشكيان التقى بونين قبل يوم من الموعد المقرر على هامش قمة رابطة الدول المستقلة في تركمانستان (أ ف ب)



وفي هذا الإطار، تُبيّن المصادر أنه في حال وقوع أيّ عدوان أميركي جديد، فإن خطة الردّ الإيرانية ستقوم على «توسيع النطاق الجغرافي للحرب»، و«إطالة مداها الزمني»، و«مضاعفة تكاليفها وتداعياتها على المستويين الإقليمي والدولي»، مؤكّدة أنه «لن تكون هناك أيّ خطوط حمر بالنسبة إلى إيران».

في خضمّ ذلك، تتسارع وتيرة التنسيق بين طهران وموسكو؛ إذ التقى الرئيس الإيراني، مسعود برزشكيان، بنظيره الروسي، فلاديمير بوتين، مساء أول من أمس - قبل يوم واحد من الموعد المُقرّر - على هامش قمة «رابطة الدول المستقلة» في تركمانستان. وتكمن الأهمية الاستراتيجية للقاء في إبداء روسيا استعداداً واضحاً للعب دور فاعل في مسار إنهاء الحرب، واتخاذ الإجراءات اللازمة كافة» في هذا الاتجاه، وفق ما أكده بوتين نفسه. ولم يكتفِ الأخير بما تقدّم، بل دافع بصراحة عن الموقف الإيراني، مشيراً إلى إدراك بلاده لـ«الجهود الحقيقية» التي تبذلها طهران لوضع حدّ للصراع، الذي «بدأ من دون أيّ ذنب من جانب إيران»، بحسب قوله. ومن جانبه، أكّد برزشكيان حرص طهران على إنهاء الحرب، لافتاً إلى «أنّنا» قدّمنا مُقترحات، وردّ الأميركيون بتعديلاتنا عليها. ومن المُقرّر، بعد الانتهاء من صياغتها النهائية، أن يجلس عبر الوسطاء لجمع النقاط والتوصل إلى خلاصة، كذلك، بدأ لافتاً إعلان «الكرملين» أن برزشكيان لم ينقل، من خلال الاجتماع ببوتين، أيّ رسالة إلى ترامب، ما يؤكّد أن جوهر اللقاء انصبّ على التنسيق الثنائي بين طهران وموسكو.

والجدير ذكره أن القمة الروسية - الإيرانية آتت بعد ساعات قليلة من تغريدة نشرها ترامب عبر منصّة «إكس»، أكّد فيها وجود مفاوضات مع إيران، قائلاً: «إننا لن نشنّ هجوماً على إيران، بأيّ حال من الأحوال، قبل انتخابات التجديد الخسفي للكونغرس في 3 تشرين الثاني». ومع ذلك، يرى بعض المراقبين أن احتمالية أن تكون تصريحات ترامب حول «توقيت الهجوم»، مجرد «خدعة» تكتيكية تهدف إلى تهدئة الأسواق العالية وإدارة أسعار الطاقة، المرتفعة جداً.

الطيران الدولية عن تشغيل رحلات ميدانياً، تمكّنت «انصار الله» من كسر هجوم كبير نفّذته الفصائل السلفية الموالية للرياض، جنوبي مضيق باب المندب. ووفقاً لمصادر ميدانية، فإن جوي سعودي مكثّف، حاول التقدم نحو أطراف مديرية ذوباي في محيط المضيق، ونفّذت عدة هجمات، منذ فجر أمس، إلّا أن قوات صنعاء أفشلت تلك المحاولات. وأكد سريع «انصار الله»، في اتجاه البوابة السعودية التي حاولت التقدّم من جهة لمح باتجاه باب المندب مرّتين خلال ساعات، وأعلن تمكّن قواته من تدمير أكثر من 22 مدجّة، و«قتل وإصابة العشرات من عناصر العدو»، بينهم عدد من القادة، مشيراً إلى وصول أكثر من 30 سيارة إسعاف إلى عدن، مُحمّلة بالقتلى والجرحى. وفي مارب، شهدت جبهات جنوب المدينة مواجهات عنيفة انتهت بتراجع الفصائل المهاجمة، وذلك بحسب المصادر التي

السعودية توجّه بالتحشيد للمعركة: مفاوضات تسليم تعز لتعثر

حين جدّد «مركز تنسيق العمليات الإنسانية» المعني بالتواصل مع شركات الطيران في العالم، دعوته الشركات كافة إلى وقف رحلاتها إلى السعودية، أعلن الناطق باسم قوات صنعاء، العميد يحيى سريع، إمكانية السماح بتشغيل رحلات إنسانية من مطار «الملك خالد» في الرياض، بشرط التوصل مع تلك القوات للحصول على تصريح مرور. وجاء ذلك في وقت استمرّ فيه عزوف العديد من شركات

ملييت اليمنيت خرجوا الى الشوارع مودعين استعدادهم للقاء ضد السعودية (أ ف ب)



صذت قوات صنعاء محاولة فصائل الرياض التقدم جنوبي باب المندب

مع اقتراب موعد انتخابات «الكنيست»، يتّسع السجال السياسي في الكيان الإسرائيلي ويزداد سخونة، مطاولاً في بعض جوانبه مستقبل العلاقة مع الولايات المتحدة، حيث تتعالى التحذيرات من أن استمرار بنيامين نتنياهو في الحكم قد يسرع تاكل التحالف الاستراتيجي الذي شكّل، لعقود، إحدى أبرز ركائز التفوق العسكري والسياسي للاحتلال. إذ إنه مع تراجع التأييد الشعبي لإسرائيل داخل الولايات المتحدة، تترادى المخاوف من أن تتحوّل سياسات الأولى، ولا سيما الحرب على غزة والدفع نحو المواجهة مع إيران، إلى عبء متراكم على العلاقة مع الثانية. على أن هذه التحذيرات، على حدّتها في انتقاد نتّنهاو، تبدو مدفوعة أساساً بالحرص على إنقاذ التحالف الأميركي - الإسرائيلي، إنمّا مع إبقاء جوهر السياسات التي أدّت إلى اهتزاز هذا التحالف خارج أيّ مراجعة جذية.

وفي هذا السياق، يحذّر الصحافي دان بيرى، المدير السابق لوكالة «أسوشيتد برس» في الشرق الأوسط، في مقال نشرته صحيفة «معاريف» في التاسع من تشرين الأول، من أن الخطر الاستراتيجي الأكبر على إسرائيل قد يأتي من تراجع الدعم الأميركي الذي استندت إليه قوتها طوال عقود. ويرى بيرى أن إعادة انتخاب نتّنهاو قد تشكّل تهديداً بعيد المدى للعلاقة مع واشنطن، بعدما أسهمت سياساته في تحويل دعم تل أبيب من قضية تحظى بإجماع نسبي بين الحزبين الأميركيين إلى موضوع انقسام داخلي متصاعد. ويستند الكاتب في تحذيره إلى استطلاعات تعكس التراجع المتواصل في صورة إسرائيل لدى الأميركيين؛ فبحسب أرقام أوردها عن مركز «بيو»، ارتفعت نسبة الذين يحملون موقفاً سلبياً من الدولة العبرية من 42% عام 2022 إلى 60% في ربيع 2026، فيما لم تتجاوز نسبة «الديمقراطيين» ومؤيديهم الذين ينظرون بإيجابية إليها 16%، كذلك، أظهر استطلاع أجرته مؤسسة «غالوب»، في شباط الماضي، أن 41% من الأميركيين باتوا يتعاطفون أكثر مع الفلسطينيين، في مقابل 36% مع الإسرائيليين، في تحوّل يعكس تراجع التأييد التقليدي للكيان داخل المجتمع الأميركي. ويعمّد هذا التراجع، وفق بيرى، من القاعدة «الديمقراطية» إلى قطاعات من «الجمهوريين»، وإلى الأجيال الشابة من اليهود الأميركيين الذين باتت علاقاتهم بإسرائيل أكثر توتراً. ويشير الكاتب إلى استطلاعات أظهرت انخفاض نسبة اليهود الأميركيين الذين يعرفون أنفسهم بانهم صهيانية إلى 34% في آذار الماضي، وإلى 30% في أوساط

علي حيدر

مع مرور ثلاث سنوات على السابع من أكتوبر، طرح «معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي» (INSS) رؤيته لما استقرّ عليه ميزان القوة في المنطقة وحال الأمن القومي لإسرائيل؛ وهي رؤية تقوم على مفارقة أساسية، عنوانها أن الانجازات العسكرية والعملياتية الواسعة، يقابلها عجز أو ترجمتها إلى جسم استراتيجي، أو إخضاع، عن تسويات سياسية وأمنية مستقرّة. فإسرائيل التي أظهرت تفوقاً عسكرياً وتكنولوجياً، والحقت أضراراً جسيمة بقدرات خصومها، لم تتمكّن بعد من تحويل هذه الانجازات إلى واقع أمني يتناسب مع حجم القوة المستخدمة.

بحسب قراءة المعهد، فإن السنوات الثلاث الماضية أظهرت التطوّر الكبير في قدرات جيش الاحتلال الإسرائيلي، وخصوصاً التكامل بين الاستخبارات والنييران والمناورة والتكنولوجيا، والقدرة على تنفيذ عمليات متزامنة في ساحات متعددة. وإنّ أتاح ذلك للجيش استعادة المبادرة العسكرية بعد إخفاق السابع من أكتوبر، وتوجيه ضربات واسعة إلى البنى العسكرية والقيادية للخصوم، فإن تمكّنه من إضعاف هؤلاء لا يعني، بحسب المعهد، إنهاء التهديد الذي يمثّله، أو ضمان تغيير إرادته وإجباره على الامتناع من إعادة بناء قدراته. وتجنّلت هذه المفارقة في ساحات المواجهة المختلفة، ففي لبنان، لم تؤدّ الضربات التي تعرّض لها «حزب

الحدث

العلاقة مع أميركا عنواناً انتخابياً
تحذيرات إسرائيلية من فقدان «المظلة»

أهيم هامانسون نتّنهاو، غادق إرنكوت، يتحدّث خلال مناسبة انتخابية في الخيرة (أ ف ب)

المنتخبين إلى «الحزب الديمقراطي». كذلك، يحمل نحو 60% من اليهود الأميركيين، وفق استطلاعات أخرى يستشهد بها، موقفاً سلبياً من نتّنهاو، فيما يخشى 56% من أن تؤدّي سياسات الأخير إلى زيادة العداء لإسرائيل ومعاداة السامية. وإذ يقرّ الكاتب في تلك التحوّلات تصدّعاً تدريجياً في إحدى البنىات التي شكّلت تاريخياً رافعة أساسية لدعم الإسرائيلي للاحتلال، فهو يربطها بالنهج الذي اتّبعه نتّنهاو على مدى سنوات، ولا سيما رهانه على «الحزب الجمهوري» وتوثيقه علاقته باليمين الأميركي، على حساب الروابط التقليدية مع «الديمقراطيين»، وجسات الحرب الإسرائيلية على غزة لتسرّع هذا المسار، بعدما أسهم حجم الدمار وعدد الضحايا الفلسطينيين في توسيع دائرة الاعتراض على سياسات الاحتلال، وخصوصاً بين الأجيال الشابة. كذلك، أضافت المواجهة مع إيران أعباء سياسية واقتصادية داخل الولايات المتحدة، وأعادت إثارة الانتقادات الموجهة إلى نتّنهاو بشأن دفع واشنطن إلى الانخراط في مواجهة تخدم حسابات تل أبيب فحسب.

وتعكّس هذا الاعتقاد الإسرائيلي على السجال الانتخابي داخل الكيان من زاوية المفاضلة بين القادات الأقدر على حماية التحالف؛ وهو ما يكشف أن الخلاف، في الجانب أساسي منه، يدور حول هوية القيادة الأقدر على إدارة أزمات الاحتلال والحفاظة على «المظلة» الأميركية التي يستند إليها تفوّقه العسكري ونفّوده الإقليمي.

«معهد دراسات الأمن القومي»: إسرائيل قاصرة عن الحسم الاستراتيجي

النظامية والاحتياط، وتاكل الجاهزية، والنقص على الأختار وقطع الغيار، وصعوبة المحافظة على التبعة البشرية لفترات ممتدّة. ولا تعني هذه المؤشرات فقدان الجيش قدرته على القتال، وإنما ارتفاع كلفة المحافظة على نفّوقه واستعداده لمواجهة لاحقة.

أما عامل الزمن، فهو لا يعمل بالضرورة لمصلحة الطرف الأقوى عسكرياً؛ فإسرائيل تحتاج إلى نتائج نهائية ومستدامة لتغيير الواقع الأمني، بينما قد يكفي خصومها الحفاظ على وجودهم، خضع العدو من تحقيق أهدافه. وهكذا، يبدو استمرار التفوّق العملياتي متراقباً مع استنزاف استراتيجي متصاعد؛ وهو ما يعزّوه المعهد إلى غياب الغايات السياسية الواضحة. فالجيش يستطيع إضعاف الخصوم، لكنه عاجز بمفرده عن إنتاج تسويات سياسية، فيما يعكس التوتر بين المستويين السياسي والعسكري صعوبة المواءمة بين الأهداف والوسائل والموارد؛ علماً أن بعض الأهداف نفسها قد تكون أبعد ممّا تستمع القوة العسكرية بتحقيقه. وتظهر تداعيات هذه الفجوة في الجبهة المحافظة أيضاً، ففي استطلاع المعهد خلال حزيران الماضي، وصف 42% من المستفيعين من الأمن القومي بأنه سيئ أو سيّئ جداً، في مقابل 20% اعتبروه جيداً أو جيداً جداً؛ الأمر الذي يجلّي محدودية انعكاس الانجازات العسكرية على الشعور بالأمن، وثقة المجتمع بجدوى استمرار الحرب.

«الله» إلى الحسم العسكري، أو إلى تسوية نهائية تكون كفيلة بشطب المقاومة من المعادلة. وفي غزة، لم تتّجّ العمليات العسكرية وأقاء سياسياً وأمناً مستقرّاً يمهد لحسم مستقبل القطاع. أمّا في مواجهة إيران، فلم تؤدّ الأضرار التي لحقت بقدرات عسكرية محدّدة، إلى إزالة التهديد الإيراني، أو إحداث تغيير حاسم في حسابات طهران الاستراتيجية. وتكشف المفارقة بين هذه الساحات أن إسرائيل لا تواجه مجرد تعدّد في الجبهات العسكرية، بل في معادلات الصراع أيضاً؛ فكلّ خصم ببنّته، وحساباته، ومصادر قوّته، وقدرته على امتصاص الخسائر. وفي الجمل، فإن امتلاك القدرة على توجيه ضربات مؤثّرة في ساحات مختلفة، لا يعني بالضرورة القدرة على إعادة تشكيل ببنّتها السياسية والأمنية، وفق الأهداف الإسرائيلية.

إلى جانب ما تقدّم، يتّضح من قراءة المعهد، أن الانجازات العسكرية لم تتّجّ تعزيزاً للردع الإسرائيلي وفق ما كان مأمولاً؛ إذ إن هذا العمل يتأثّر أيضاً بتقديرات الخصوم لكلفة المواجهة، واستعدادهم لتحمل الخسائر، ولتقهم بقدرتهم على الصمود وإعادة البناء. ومن هنا، تشنّد حاجة إسرائيل إلى عمليات متكرّرة بلع خصومها من استعادة إمكاناتهم، نظراً إلى أن العمليات السابقة لم تتّجّ ردعاً مستقرّاً يعني عن تكرار استخدام القوة. كذلك، يبنّيه المعهد إلى الأعباء المتزايدة للحرب الطويلة، وفي مقدّمتها الضغط على القوات

الحدث

انتخابات أميركا: لا توقعات بـ«مدّ أزرق» انطلاق الاقتراع الحضورى المبكر

خَـصَرُ خُروبي

على وقع بدء الاقتراع الحضورى المبكر في الانتخابات الأميركية النصفية في ولايات فيرجينيا وايداهو ومينيسوتا وداكوتا الجنوبية وغيرها، تعود التوقعات بتحقيق «الحزب الديمقراطي» تقدّما على خصمه «الجمهوري» سواء في مجلس النواب أو في مجلس الشيوخ؛ وهي توقّعات يدفع في اتجاهها العرف الانتخابي المألوف في الحياة السياسية الأميركية، والمتعلّق بخسارة حزب الرئيس الموجود في البيت الأبيض، بهوامش متفاوتة، انتخابات التجديد النصفى بدءا من عام 1945، وذلك من دون ترجيح حصول «مدّ أزرق»، مشابه لما شهده عام 2018. مع هذا، لا يزال من الصعب حسم نتيجة «تسريعات 2026» من الآن، خصوصا مع نجاح كلا الحزبين في تدعيم حظوظهما في عدد من ساحات الدّزال المرتقب في الثالث من تشرين الثاني المقبل. وفي حين تميل استطلاعات الراي إلى ترجيح كفة «الرّزق»، بات أداء إدارة الرئيس دونالد ترامب عنواناً رئيسا للاستقطاب، ولا سيما في ما يتصل بالربح على إيران وتدابعتها على الدّاخل الأميركي؛ علما أن البيت الأبيض بعث أخيرا بمؤشرات في شأن عدم استعجاله الخروج منها.

معركة «ديمقراطية» - جمهورية»

وفقا لأحدث أرقام «كوك» وهي مؤسسة مستقلة متخصصة في دراسة اتجاهات الراي العام، فإنّ

تقرير

لنّدت - سميد محمد

مع دخول الاحتجاجات الطالبة في فرنسا أسبوعها الثالث، واتّسع دائرة المشاركة فيها من المدارس الثانوية إلى الجامعات والتّغابات المعالية، بدأت أصداة الانتفاضة تتخلّق إلى دول أوروبية أخرى، بخاصة بلجيكا، التي شهدت، الأسبوع الجارى، تحركات طالبية، تخلّلتها مواجهات مع الشرطة، ورافقتها تحرك نقابي واسع في العاصمة ضدّ السياسات المالية للحكومة الفدرالية. وكانت تلك التّحرّكات انطلقت مطلع الشهر الجارى، وتركّزت في مدينة ليجج - شرقي البلاد - وبروكسيل ومدن أخرى ضمن المناطق الناطقة بالفرنسية. وعلى الرغم من تأثّر المحتجين بالحدّث المالية وضمان أسباب الغضب البلجيكي تعود إلى إصلاحات تعليمية داخلية أقدمها، في حزيران الماضى، برلمان اتحاد والونيا - بروكسيل، وهو الكيان المسؤول عن إدارة التعليم في المجتمع البلجيكي الناطق بالفرنسية. وتشمل الإصلاحات، التي نقدها وزيرة التعليم فاليري غلاتيني، المنتهية إلى حزب «الحركة الإصلاحية الليبرالية»، برنامجا لتوفير نحو 500 مليون يورو من الإنفاق العام بحلول عام 2029، مُقارنةً بميزانية تعليمية بلغت 10,65 مليارات يورو عام 2025. كما تشمل زيادة الرسوم السنوية للتسجيل

الجامعي لنحو 58 في المئة من الطلاب من 835 يورو إلى 1194 يورو، ورفع ساعات التدريس الأسبوعية لبعض معلمي المرحلة الثانوية من عشرين إلى اثنتين وعشرين، إلى جانب تعديلات على أنظمة الإجازات ونهاية الخدمة والموارد المخصّصة لبعض الأنشطة المدرسية. وأثارت هذه الإجراءات معارضة واسعة في أوساط الطلاب والمعلمين الذين يخشون انعكاسها على جودة التعليم وإمكانات الالتحاق واسع في العاصمة ضدّ السياسات المحدودة الدخّل. واعتبر ممثلو الطلاب أن زيادة العبء التدريسي ستحدّ من قدرة المعلمين على تقديم الدعم الفردي وتنظيم الأنشطة التعليمية، بينما ترى السلطات أن ضغط الإنفاق ضروري لمعالجة الإغلاقات المالية وضمان استدامة الخدمات العامة.

وفي تصريحات نقلتها صحيفة «لوسوند» الفرنسية، أكّد طالب بلجيكيون أن مطالبهم سبقت الاحتجاجات الفرنسية، وإن كانت الناطق بالفرنسية. على استنفاد تحركاتهم، كما رفضت لجنة الطلاب الأخيرة قد شجّعتهم على استنفاد الجارى. واتفق ديمير من الإجراءات الأخيرة باعتبارها ضرورية لحماية السكان والممتلكات، مع إبداء استعداده للحوار مع ممثلي الطلاب، في حين اعتبر ناشطون أن تشديد الإجراءات الأمنية من شأنه رفع مستوى التوتر. وتأتي الاحتجاجات الطالبة في وقت مضاعف، فيه حكومة بارت دي ويفر

والأجهزة الأمنية، وذلك عندما تجتمع مئات الطلاب أمام المؤسسات التعليمية وأغلقوا مداخل المدارس وقطعوا الطرقات الرئيسية، قبل أن تتطوّر بعض التّحرّكات إلى أعمال تخريب وإشعال حرائق وتخطيم وإجهات متاجر، وفي المقابل، استخدمت الشرطة الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه لتفريق مجموعات من المحتجين، فيما أغلقت محطة القطارات الرئيسية مؤقتا، ووُجّهت إشارات إلى أصحاب المحال التجارية بإقفال متاجرهم مبكرا. وفي حين ارتفع عدد الموقوفين في المدينة إلى 194 شخصا حتى الخميس، بينهم 114 قاصرا، مع تسجيل إصابة 43 شرطيا، وفق تقارير محلية، أفادت وكالات الأنباء لاحقا بأن حصيلة الاعتقالات تجاوزت 200.

ودفع تصاعد المواجهات، رئيس بلدية ليجج وبلي ديمير، إلى إصدار قرار استثنائي يمنع تجعّع أكثر من ثلاثة أشخاص في الأماكن العامة ضمن نطاق المدينة. وذلك اعتبارا من الثامن وحتى السادس عشر من الشهر الجارى. واتفق ديمير عن الإجراءات الأخيرة باعتبارها ضرورية لحماية السكان والممتلكات، مع إبداء استعداده للحوار مع ممثلي الطلاب، في حين اعتبر ناشطون أن تشديد الإجراءات الأمنية من شأنه رفع مستوى التوتر. وتأتي الاحتجاجات الطالبة في وقت مضاعف، فيه حكومة بارت دي ويفر

تحدياً آخر متمثلاً بتمزّد النقابات العمالية، التي نظّمت، أمس، تحركا وطنيا ضدّ مشروع موازنة عام 2027 والتدابير التقشفية المرتبطة به. ونظّم «الاتحاد العام للعامل البلجيكيين» مسيرة من محطة بروكسيل المركزية في اتجاه محطة الجنوب، بينما اختار المدرسية «اتحاد النقابات المسيحية» التظاهر أمام مقرّ الأحزاب المشاركة في ائتلاف الحكومة. ويطالب الاتحادان بحماية القدرة الشرائية للعائلات، والحفاظ على نظام الربط اللغائى لالاجور بمؤشر الأسعار، معارضين زيادات

محتملة لضريبة القيمة المضافة وإجراءات خفض الإنفاق الاجتماعي. كما قدّمت النقابات مقترحات مالية بدلية تقول إنها قادرة على توفير موارد تصل إلى 21 مليار يورو. واندلعت على هامش المسيرات، التي شارك فيها نحو ثلاثين ألف شخص وفق تقديرات الشرطة، مواجهات قرب محطة القطارات المركزية في المدينة، وذلك بعدما رشق أشخاص ملثّمون عناصر الأمن بالحجارة والمفرقات، وأشعلوا حرائق في دراجات ومعدّات موجودة في الشوارع، لثّرت قوات

متظاهر بلجيكي يحيط به دخان الغاز المسيل للدموم، خلال الاحتجاجات الطالبة في بروكسل (مت الويب)



”

بدا بعض المرشحين الجمهوريين»، أخيرا، الثاني بانفسهم عن ساكن البيت الأبيض

يُعرف بـ«الغرب الأوسط»، والمصنّف بعضها ضمن خانة المعالّل التاريخية لـ«الخمر». ويتقدّم المفاذ الثمانية المُشار إليها، مقعد ولاية أوهايو الذي يحتله السيناتور «الجمهوري»، جون هوستيد، المعنّى خلفاً لنائب الرئيس الحالى جي دي فانس، ومقعد ولاية «كنساس»، التي هبط تأييد ترامب فيها بنسبة 40 في المئة على خلفية أدائه السياسي والاقتصادي، إلى جانب سباق الإسكا - المعروفة كأكبر ولاية «جمهورية»، - حيث تتقدّم المرشحة «الديمقراطية»، ماري بيلولا، على منافسها «الجمهوري» المؤيد لسياسات البيت الأبيض، السيناتور الحالى دان سوليفان، بنسبة تقارب 7 في المئة، وزميلها جيمس تالاريكو، المتفوّق على المرشح «الجمهوري»، كين باكستون، الذي يُنظر إليه كشخص ضعيف وفاسد، بنسبة تتجاوز خمسة في المئة. وكما في تكساس، وكنساس، وأوهايو، والإسكا، يواجه «الجمهوريون» صعوبات في ولاية كارولينا الشمالية، لأسباب تتعلّق بخلافات ترامب مع السيناتور الحالى عن الولاية توم تيليس، وأيضاً في ولاية أبوا حيث تتقارب حظوظ المرشحة «الجمهورية» أشلي هينسون، و«الديمقراطي» جوش توريك. كذلك، يواجه «الديمقراطيون» حملة «جمهورية» شرسة في ميشيغان قد تضعف حظوظ مرشّحهم عبد الرحمن السيد، كان آخر وجوهها توصيف ترامب لأخير بـ«المتطرف» و«التعاطف مع الإرهابيين».

عناوين استقطاب مختلفة

على وقع بلوغ معدّل التضمّن، 3,4 في المئة في أب، جاء وعد

ترامب بدفع 5 آلاف دولار لكلّ مواطن بالغ إذا فإنّ «الجمهوريون» بمجلسي «الكونغرس»، ليشير إشكالات قانونية وتسوّلات حول تكاليف مالية لا يتحمّلها الاقتصاد الأميركي، تقدّر بنحو تريليوني دولار. باتت الحركة القضائية التي يخوضها الرجل مع «الديمقراطيين» وجمعيات حقوقية وناشطين في أروقة المحاكم الفيدرالية، على خلفية الأمر التنفيذي الذي أصدره في آذار الفائت ويدعو فيه إلى فرض قيود أكثر صرامة على التصويت عبر البريد - منزعجا بحماية الانتخابات من التزوير -، تثير خشية المرشحين «الجمهوريين» من تبعات سلوك ترامب، الذي يسجّل أدنى معدّل تأييد لرئيس أميركي في ولايته الثانية عبر تاريخ الولايات المتحدة، على فرصهم في الانتخابات التشريعية. وتضاعفت تلك المخاوف مع قرار المحكمة العليا، أواسط الشهر الماضي، رفض تنفيذ الأمر الصادر عن البيت الأبيض، بصورة مؤقتة، مع تسجيل شكوى تتعلق بالخشية على صلاحيات الولايات في تنظيم الانتخابات، وحقوق الناخبين.

من هذا المنطلق، بدأ بعض المرشحين «الجمهوريين»، أخيرا، الثاني بانفسهم عن ساكن البيت الأبيض، ولو مرحليا، وهو ما ينطبق مثلاً على المرشح لعضوية مجلس الشيوخ عن ولاية ميشيغان، مايك روجرسن، الذي تراجع عن نبرته الحادة تجاه إيران. وفي المقابل، فإن نسبة وازنة من أولئك المرشحين، تقدّر بأكثر من 95%، لا تزال ترهن مصيرها بمصير سيد البيت الأبيض، بوصفه «شرا لا بد منه»، مدفوعة بحاجتها إلى حشد قاعدته الانتخابية وموارده المالية لخفض أسعار النفط، وفقاً إلى أن الحرب أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الانتخابات النصفية، ومعتبرا أن الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها للإدارة مساعدة مرشحي «الجمهوري»، تتمثّل في محاولة «الوصول إلى آلة الزمن»، في إشارة إلى عامل الوقت الضائع في الأزمة الإيرانية.

”

الطالبة توسع تحركاتها، وصولاً إلى إضراب دولي مُفجّر في العشرين من الشهر. والثاني الثاني المقبل، وفق ما أعلنته مجموعات مشاركة في التعبئة. كذلك، استندت التحركات المرتبطة مطار بروكسيل أعلنت إلغاء نحو 140 رحلة جوية نتيجة مشاركة عاملين في شركة «اليريا» للخدمة الأرضية في الإضراب، فيما تأثّرت نحو أربعين في المئة من رحلات الخطوط الجوية البلجيكية. كما تقلّصت خدمات المترو والنّرام والحافلات في العاصمة والأقاليم، مع استعداد النقابات لتنظيم تحرك جديد الاثنين المقبل.

وفي إيطاليا، التي وصلت إليها أصداة الاحتجاجات في عدد من الدول الأوروبية، احتمال اتّساع الاحتجاجات إلى أبعد من بلجيكا وإيطاليا بعد فرنسا، خصوصا مع ما تتيجحه وسائل التواصل الاجتماعي من إمكانات لاقتال التجارب الاحتجاجية وأساليب التعبئة بسرعة. وإن تقاطع، في خلال هذه الموجة، المطالب الطالبة والعلمالية - ملثما بحث في بلجيكا -، فإن من شأن ذلك فتح الباب أمام تحالفات اجتماعية أوسع، تُخنّز ديناميات تكوينها بأن قدرة النموذج الأوروبي على التوفيق بين الاستقرار المالي والحفاظ على العدي الاحتجاجي، التي قامت عليه دولة الرفاه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ستكون أمام اختبار جذي وغير سهل.

اختلّفت دوافعها المباشرة، إذ دعت تنظيمات طالبة في اليونان إلى احتجاج اعتراضاً على دمج الفصول الابتدائية في عدد من الدول وأسابيل التعبئة بسرعة. وإن تقاطع، في خلال هذه الموجة، المطالب الطالبة والعلمالية - ملثما بحث في بلجيكا -، فإن من شأن ذلك فتح الباب أمام تحالفات اجتماعية أوسع، تُخنّز ديناميات تكوينها بأن قدرة النموذج الأوروبي على التوفيق بين الاستقرار المالي والحفاظ على العدي الاحتجاجي، التي قامت عليه دولة الرفاه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ستكون أمام اختبار جذي وغير سهل.

تعامل ترامب مع الأزمات المعيشية، فيما يؤيد 26% فقط منهم طريقة إدارته للملف الاقتصادي. ووفقاً لنتائج الاستطلاع نفسه، فإن عدداً قليلاً من الناخبين بدا يفقد ثقته في كلا الحزبين لناحية القدرة على إيجاد الحلول للمشكلات الهامة. وبالإستناد إلى استطلاعات للرأي أيضاً أجراها «مركز بيو للأبحاث» الصيف الماضي، أفاد 29 ٪ بأن القضايا الاقتصادية تحتلّ صدارة اهتماماتهم في برامج المرشحين للانتخابات، فيما سجّلت نسبة من يشعرون بالقلق من ارتفاع أسعار البنزين 56%، مقارنة مع نسبة لم تتجاوز 34% مطلع العام الجارى. إزاء ذلك، يواصل ترامب محاولاته تدارك هفواته السياسية، ساعياً لتهدئة مخاوف المستهلكين بتعهدات من مثل خفض سعر الوقود بعد الانتخابات؛ كما يراوح بين تجريب الحرب غير الشعبية على إيران وترويج سرديّة «نصر» بخصوصها. وفي المقابل، يستفيد «الديمقراطيون» من غفرت ترامب في تلك الملفّات الحياتية، وعلى رأسها الرعاية الصحية وتكاليف المعيشة، وذلك وفقاً لبعض الإحصاءات، التي تظهر تفوقهم في هذا المجال بنسبة 42%، وعليه، تتزايد حالة الإحباط في أوساط «الجمهوريين»، وفقاً لما أشار إليه موقع «بوليتيكو»، مذكراً بأن هذه النتيجة هي بالضبط ما حذر منه العديد من «الخمر» بداية الحرب على إيران في شباط الماضي؛ وهي نتيجته باتوا مضطرينّ اليوم إلى «تقلّبت على مضض»، بعدما اتضح عدم تمكّن ترامب من إيجاد تسوية تفاوضية سريعة مع الجانب الإيراني. وتقلّ الموقع عن ناشط «جمهوري» في محلات انتخابية عدة قوله إن الوقت نغد لخفض أسعار النفط، وفقاً إلى أن الحرب أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الانتخابات النصفية، ومعتبرا أن الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها للإدارة مساعدة مرشحي «الجمهوري»، تتمثّل في محاولة «الوصول إلى آلة الزمن»، في إشارة إلى عامل الوقت الضائع في الأزمة الإيرانية.

ولم يخلّ إخراج صالح من رئاسة المجلس من اعتراضات داخل البرلمان؛ إذ رفضت أصوات نيابية الاعتراف بنتيجة التصويت، ودعت إلى عقد جلسة في العاصمة طرابلس. إلا أن هذه الاعتراضات لا تبدو كفيلة، وفقاً لمصادر مطلّعة تحدّثت إلى «الأخبار»، بد إحداث تغيير فعلي في المشهد، بقدر ما تتشكّل ورقة ضغط تسعى الأطراف التي تمسك بها إلى توظيفها في الترتيبات المقبلة، ولا سيما على مستوى التمثيل القبلي». وبحسب المصادر نفسها، فإن تعديل اللائحة الداخلية للمجلس جاء «عقب لقاءات تشاورية سبقت جلسة التصويت، كان بعضها بعلم القائد العسكري خليفة حفتر، الذي يمهد نجله لخلافته في قيادة الجيش». ومن جهة، براهن صالح على «خروجه الهائئ من رئاسة البرلمان وعودته إلى مقاعد النواب باعتبارهما عاملين قد يفيدان طموحه السياسي، ولا سيما عند فتح باب الترشّح للانتخابات الرئاسية»، وذلك وفقاً للمصادر نفسها التي «لا تستبعد أن يخوض صالح السباق، ما لم يدخل في تحالف أوسع للوصول إلى السلطة بصيغتها الجديدة التي تجري ترتيبها رهائاً».

ورغم الخلافات داخل مجلس النواب، فإن المسار الحالي، الذي يدعم الاتفاق الموقع في 30 من آب الماضي بين «حكومة الوحدة الوطنية» وقوات حفتر، المعروف باسم «444»، يتّجه إلى أن يكون الإطار الناظم للحركات السياسية المقبلة، إذ ينضّ الاتفاق، الذي كان أثار أخذاً ورداً خلال رئاسة صالح للمجلس، على تشكيل سلطة جديدة خلال عامين، إلى جانب حكومة موحّدة تمهّد لإجراء الانتخابات؛ وهو ما لا يبدو الطريق إليه سهلاً في ظل استمرار الخلافات حول تحاصص النفوذ والتمثيل بين الشرق والغرب. وفي هذا السياق، تبدو الأطراف أقرب إلى قبول الصيغة التي يطرحها مستشار الرئيس الأميركي للشؤون الأفريقية، مساعد بولس، في وقت توافيل فيه البعثة الأممية. هانا تيتيه، مشارواتها مع الأطراف الإقليمية - ومن بينها مصر وتونس اللتان زارتهما -، وذلك قبل إحاطتها المرتقبة أمام مجلس الأمن في 14 تشرين الأول الجارى.

وبالمعودة إلى مجلس النواب، تتّجه الأنظار إلى جلساته المقبلة. وما إذا كان سيتمكّن من إكمال التصاب القانوني وتمثيل القوانين المرتبطة بالعملية الانتخابية والتعديلات المطلوبة لها. ووفقاً للمصادر، يظلّ «احتمال تمرير هذه القوانين عبر نقاهات أممية وخارجية قائماً، إلا أنه لا يبدو السيناريو الأرجح في المرحلة الحالية، في ظلّ السعي إلى إبقاء إعادة تشكيل السلطة ضمن مسار يُقدّم كاتّقال ديمقراطي». وفي موازاة ذلك، تبقى مسألة توحيد السلطة التنفيذية إحدى العقد الأساسية في المرحلة الانتقالية؛ فإلى جانب «حكومة الوحدة» برئاسة عبد الحميد الدبيبة، ثمة حكومة مُكلّفة من مجلس النواب، فيما يشكّل توحيدهما جزءاً أساسياً من الترتيبات المطروحة حالياً، والتي يُنظر أنّ تنضج معالها خلال الأيام المقبلة. وربما في الإحاطة التي ستقدّمها تيتيه أمام مجلس الأمن.

ليبيا

تغيير رئاسة البرلمان مسار تكريس المحاصصة يتقدّم



لم يخلّ إخراج عقيلة صالح من رئاسة المجلس من اعتراضات داخل البرلمان (مت الويب)

طرابلس - الأخبار

طوى مجلس النواب الليبي، الذي يتّخذ من شرق البلاد مقراً له، صفحة رئاسة عقيلة صالح له، بانتخابه الصالحين عبد النبي خلفاً للأخير، الثلاثاء الماضي. وجاء انتخاب عبد النبي رئيساً، وطارق الأشتر نائباً أوّل له، ومصباح دومة نائباً ثانياً، وزايد هدية مُفجّراً، بعد يوم واحد من تصويت 98 نائباً - خلال جلسة حضرها 102 نائب - على تعديل لائحة الجلس الداخلية وتشكيل هيئة رئاسة جديدة له. في مقابل إنهاء عمل مكتب الرئاسة الحالي الذي يقوده صالح. وإن تأتى هذه الخطوة بموجب توافقات داخلية، فهي تتزامن مع تسارع التحركات المحلية والإقليمية والدولية لدفع نحو مسار سياسي يقضي إلى إجراء انتخابات، تتبعها عملية إعادة تشكيل للسلطة وهيكلة المؤسسات الدولة التي لم تعرف الاستقرار منذ سقوط نظام معمر القذافي في عام 2011.

ولم يخلّ إخراج صالح من رئاسة المجلس من اعتراضات داخل البرلمان؛ إذ رفضت أصوات نيابية الاعتراف بنتيجة التصويت، ودعت إلى عقد جلسة في العاصمة طرابلس. إلا أن هذه الاعتراضات لا تبدو كفيلة، وفقاً لمصادر مطلّعة تحدّثت إلى «الأخبار»، بد إحداث تغيير فعلي في المشهد، بقدر ما تتشكّل ورقة ضغط تسعى الأطراف التي تمسك بها إلى توظيفها في الترتيبات المقبلة، ولا سيما على مستوى التمثيل القبلي». وبحسب المصادر نفسها، فإن تعديل اللائحة الداخلية للمجلس جاء «عقب لقاءات تشاورية سبقت جلسة التصويت، كان بعضها بعلم القائد العسكري خليفة حفتر، الذي يمهد نجله لخلافته في قيادة الجيش». ومن جهة، براهن صالح على «خروجه الهائئ من رئاسة البرلمان وعودته إلى مقاعد النواب باعتبارهما عاملين قد يفيدان طموحه السياسي، ولا سيما عند فتح باب الترشّح للانتخابات الرئاسية»، وذلك وفقاً للمصادر نفسها التي «لا تستبعد أن يخوض صالح السباق، ما لم يدخل في تحالف أوسع للوصول إلى السلطة بصيغتها الجديدة التي تجري ترتيبها رهائاً».

ورغم الخلافات داخل مجلس النواب، فإن المسار الحالي، الذي يدعم الاتفاق الموقع في 30 من آب الماضي بين «حكومة الوحدة الوطنية» وقوات حفتر، المعروف باسم «444»، يتّجه إلى أن يكون الإطار الناظم للحركات السياسية المقبلة، إذ ينضّ الاتفاق، الذي كان أثار أخذاً ورداً خلال رئاسة صالح للمجلس، على تشكيل سلطة جديدة خلال عامين، إلى جانب حكومة موحّدة تمهّد لإجراء الانتخابات؛ وهو ما لا يبدو الطريق إليه سهلاً في ظل استمرار الخلافات حول تحاصص النفوذ والتمثيل بين الشرق والغرب. وفي هذا السياق، تبدو الأطراف أقرب إلى قبول الصيغة التي يطرحها مستشار الرئيس الأميركي للشؤون الأفريقية، مساعد بولس، في وقت توافيل فيه البعثة الأممية. هانا تيتيه، مشارواتها مع الأطراف الإقليمية - ومن بينها مصر وتونس اللتان زارتهما -، وذلك قبل إحاطتها المرتقبة أمام مجلس الأمن في 14 تشرين الأول الجارى.

وبالمعودة إلى مجلس النواب، تتّجه الأنظار إلى جلساته المقبلة. وما إذا كان سيتمكّن من إكمال التصاب القانوني وتمثيل القوانين المرتبطة بالعملية الانتخابية والتعديلات المطلوبة لها. ووفقاً للمصادر، يظلّ «احتمال تمرير هذه القوانين عبر نقاهات أممية وخارجية قائماً، إلا أنه لا يبدو السيناريو الأرجح في المرحلة الحالية، في ظلّ السعي إلى إبقاء إعادة تشكيل السلطة ضمن مسار يُقدّم كاتّقال ديمقراطي». وفي موازاة ذلك، تبقى مسألة توحيد السلطة التنفيذية إحدى العقد الأساسية في المرحلة الانتقالية؛ فإلى جانب «حكومة الوحدة» برئاسة عبد الحميد الدبيبة، ثمة حكومة مُكلّفة من مجلس النواب، فيما يشكّل توحيدهما جزءاً أساسياً من الترتيبات المطروحة حالياً، والتي يُنظر أنّ تنضج معالها خلال الأيام المقبلة. وربما في الإحاطة التي ستقدّمها تيتيه أمام مجلس الأمن.

الكرة الإنكليزية

مانشستر سيتي «المزور» يعود إلى الملعب... جحيم أنفيلد بالانتظار

استُنتِجت منافسات الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم بعد 3 أسابيع من التوقف الدولي، على أن تشهد قمة بيت ليفربول ومانشستر سيتي غدا الأحد (18:30 بتوقيت بيروت). ورغم الأهمية الفنية الكبيرة التي تحملها المباراة المرتقبة، إلا أن رحلة «السيريز»، سوف تتم تحت سحابة غير مسبوقة من الجدل عقب إدانة النادي في قضية مالية تاريخية

حسين قصص

هي المواجهة الأولى بين مانشستر سيتي والراي العام، حيث يتوجّه الفريق الأزرق السماوي إلى ملعب أنفيلد لخوض أول مباراة له في الدوري منذ أن خلصت لجنة مستقلة إلى إدانة النادي بارتكاب أكثر من 100 مخالفة جسيمة للقواعد المالية للدوري على مدار تسع سنوات (من 2009 إلى 2018)، فضلاً عن اتهامات تتعلق بعدم التعاون مع التحقيق. ورغم استئناف الفريق المملوك من الإسمارات القرار وتأكيد امتلاك أدلة تؤكد أنّ راي اللجنة يحتوي على «أخطاء جوهرية واضحة»، كرويين مختلفين، منهم غاري نيفيل، قائد مانشستر يونايتد ومدافع المنتخب الإنكليزي السابق، الذي صرّح أخيراً عبر بودكاست



لطالما اتُسمت المنافسة بين مانشستر سيتي وليفربول بالحدة والنور بعد سنواتٍ من الصراع المحتدم على قمة الكرة الإنكليزية

على مانشستر سيتي من فاعلين كرويين مختلفين، منهم غاري نيفيل، قائد مانشستر يونايتد ومدافع المنتخب الإنكليزي السابق، الذي صرّح أخيراً عبر بودكاست

«The Overlap» قائلاً: «إذا أرادوا أن يدركوا مدى حدة الأجواء التي ستشهدها المباراة، فإن أنفيلد سيوصل لهم هذه الرسالة بطريقة تفوق كل التصورات».

وأضاف: «توقّع ظهور لافتات، وبال تأكيد ستكون هناك هتافات جماهيرية، سنطلقون استقبالات لم يسبق له مثيل في ملعب أنفيلد... سيكون يوماً عصيباً جداً».

لا يشغلهم، وأنّ اهتمامهم منصب على ما يستطيعون التحكّم فيه داخل الملعب. من جهته، صرّح إيرلينغ هالاند، مهاجم مانشستر سيتي، بأنّ فريقه يجب أن يتكاتف عقب صدور قرار بإدانته في أكثر من 100 تهمة تتعلق بمخالفات مالية. وقال هالاند لشبكة «سكاى سبورتنس» البريطانية: «سنقضي وقتاً طويلاً يوم الأحد، علينا أن نتكاتف وأن نحافظ على إيجابيتنا. يجب أن نتطلع إلى المستقبل ونحاول الفوز بالمباراة».

تساؤلات كبيرة

شهد مانشستر سيتي بدايةً مثالية هذا الموسم، حيث فاز بجميع مبارياته الخمس في الدوري الإنكليزي الممتاز، ليتصدّر بذلك الترتيب بفارق ثلاث نقاط عن الوصيف آرسنال بطل الموسم الماضي.

في الطرف الآخر، يحتل ليفربول المركز السادس في الدوري، متأخراً بفارق ست نقاط عن مانشستر سيتي، وذلك بعد بداية متقلّبة



من هذا الصدد، صرّح مدرب مانشستر سيتي، إرنو ماريسا، أنّه يضع تركيز لاعبي فريقه على رأس أولوياته قبل مواجهة ليفربول، مؤكداً أنّ الضجيج المحيط بالنادي

سوف تُطرح التساؤلات مع كل مباراة يخوضها مانشستر سيتي حول المصير النهائي للنادي السماوي، في ظل استمرار إجراءات الاستئناف وعدم تحديد العقوبات بعد. وقد أثار حالة عدم اليقين هذه نقاشات حول احتمالية تقديم مطالبات بالتعويض من جانب الفرق واللاعبين المنافسين، فضلاً عن الدعايات الأوسع نطاقاً على كرة القدم الإنكليزية. القمة ستكون مشتتلة فنياً وجماهيرياً وإعلامياً، ومن المتوقع أن يُشكّل ملعب أنفيلد غداً جحيماً بالنسبة إلى مانشستر سيتي.



الفوز الأكبر لجويا وطرابلس يفاجئ العهد



حقق فريق جويا الفوز الأكبر ضمن المرحلة الأولى من نهاب الدوري اللبناني لكرة القدم بفوزه على ضيفه المبرة (الشباب الغازية) بثلاثية نظيفة سجلها الوافدون الجدد إلى النادي محمد حبوس وجبريل غاييه وجونوان بولينغي ليتصدر الترتيب بعد نهاية الأسبوع الأول. هذا الأسبوع الذي شهد ختامه نتيجة ممتازة لطرابلس بتعادله مع ضيفه العهد 1-1 على ملعب طرابلس البلدي، وافتتح طرابلس التسجيل عبر لاعبه بكاري في الدقيقة 12 قبل أن يعادل العهد عبر كيتوا في الدقيقة 20. ضمن الأسبوع الثاني، إذ يلعب الإثنين النجمة مع التضامن صور على ملعب جونية عند الساعة 16,00، وشباب الساحل مع الصفا على ملعب العهد عند الساعة 15,00. ويلعب الثلاثاء طرابلس مع ضيفه الإخاء الأهلي عاليه عند الساعة 15,00، والعهد مع المبرة (الشباب الغازية) على ملعب جويا عند الساعة 21,00، وسيشهد الملعب الجنوبي مباراة أخرى عند الساعة 16,30 بين جويا والحكمة. ويعيب نادي الانتصار عن هذه الجولة بسبب سفر الفريق إلى بوتان للخوض في منافسات الدور الأول من مسابقة دوري التحدي الآسيوي.

(الأخبار)

التعلم من أخطاء المباريات والاعتداع على ضغوطها. كما لا يمكن إغفال أهمية المعسكرات والمباريات الدولية وجمع هؤلاء اللاعبين للتدريب بصورة منتظمة للعمل على تطوير جوانب أساسية والبناء على نقاط القوة التي أظهروها في بطولة غرب آسيا. وهذه مسألة قد تكون متابعتها بطريقة علمية من خلال إنشاء قاعدة بيانات ومتابعة مستمرة لكل لاعب عبر مراقبة تطوره الفني والبدني، والتنسيق بين المنتخب والأندية، وتحديد مسار واضح لكل لاعب بحسب حاجاته وإمكاناته لأن الواعدين يضيعون أحياناً لا بسبب نقص الموهبة، بل بسبب غياب المتابعة في المرحلة الانتقالية بين الناشئين والرجال.

لذا يمكن القول إن المرحلة المقبلة يجب أن تكون مرحلة حماية للإنجاز، لا الاكتفاء بالاحتفال به، ولقب غرب آسيا يمكن أن يكون نموذجاً لما يمكن أن تحقّقه كرة القدم اللبنانية إذا ما توفّر ثلاثة عناصر أساسية وهي: الاستمرارية، التخطيط، والاستثمار في المواهب. باختصار، هذا الجيل أعطى كرة القدم اللبنانية سبباً جديداً للتفوّل، لكنه في الوقت نفسه يضعها أمام

امتحان أكبر، إذ إن النجاح الحقيقي هو في رؤية عدد من هؤلاء اللاعبين يرتدون قميص المنتخب الأول في المستقبل.

(الأخبار)



يُفترض أن يتمّ تشجيع الأندية على إشراك الناشئين مع فرق الرجال

التجربة الإسبانية الذهبية

المطلوب واضح، وهو الحفاظ على هذا الجيل من اللاعبين ومواصلة الاستثمار في منتجيهم لأن اللاعب في هذه السنّ ومهما بلغ من نضج يحتاج إلى بيئة تساعد على الانتقال من محطة التدريب نفسه مع إلى كرة القدم التنافسية للرجال.

ولعل تجربة المدرب الإسباني لويس دي لا فوينتي تقدّم مثالاً واضحاً عن قيمة الاستمرارية، والتي أوصلته في نهاية المطاف إلى لقب كأس العالم بفضل معرفته باللاعبين ومراحل تطوّرهم من خلال انتقالهم معه من مستويات عمرية مختلفة وصولاً إلى المنتخب الأول. وهذا المسار أقترن طبعاً بالحفاظ على الكثير من الأفكار الفنية التي عرفوها في مراحلهم السابقة، وقد عمل معهم على تطويرها، فكانت النتيجة الحالية. وعلّق اللاقي على هذه النقطة: «الفكرة قد لا تكون بعدد من تخطيط الاتحاد للمستقبل، إذ يعلم القيمون مدى الجودة التي نملكها، وبالتالي الكل يريد البناء من أجل مستقبل

عندها، إذ إن نجاح منتخب الناشئين لا يبدأ من المنتخب نفسه، بل من الأندية والأكاديميات والبطولات التي نظمها الاتحاد أحياناً أو الأكاديميات الخاصة في أحيان أخرى. لكن السؤال الأهم الآن: ما هو المطلوب للاستفادة من هذا الإنجاز؟

المطلوب واضح، وهو الحفاظ على

هذا الجيل من اللاعبين ومواصلة الاستثمار في منتجيهم لأن اللاعب في هذه السنّ ومهما بلغ من نضج يحتاج إلى بيئة تساعد على الانتقال من محطة التدريب نفسه مع إلى كرة القدم التنافسية للرجال. ولعل تجربة المدرب الإسباني لويس دي لا فوينتي تقدّم مثالاً واضحاً عن قيمة الاستمرارية، والتي أوصلته في نهاية المطاف إلى لقب كأس العالم بفضل معرفته باللاعبين ومراحل تطوّرهم من خلال انتقالهم معه من مستويات عمرية مختلفة وصولاً إلى المنتخب الأول. وهذا المسار أقترن طبعاً بالحفاظ على الكثير من الأفكار الفنية التي عرفوها في مراحلهم السابقة، وقد عمل معهم على تطويرها، فكانت النتيجة الحالية. وعلّق اللاقي على هذه النقطة: «الفكرة قد لا تكون بعدد من تخطيط الاتحاد للمستقبل، إذ يعلم القيمون مدى الجودة التي نملكها، وبالتالي الكل يريد البناء من أجل مستقبل



النجاح الحقيقي هو في رؤية عدد من أصحاب إنجاز منتخب الناشئين يقيص المنتخب الأول مستقبلاً

الكرة اللبنانية

منتخب لبنان للناشئين بطلاً لغرب آسيا: المستقبل يبدو مشرقاً

لم يكن تنويع منتخب لبنان للناشئين بطلاً لغرب آسيا للمرة الأولى في تاريخه مجرد لقب يُضاف إلى سجلات كرة القدم اللبنانية. هذا الإنجاز يحمل في طياته مؤشرات مهمة على إمكانية بناء مستقبل مختلف للمنتخب الوطني. شرط أن يُنظر إليه كبداية مشروع طويل الأمد

إلى الألقاب

وفي حديثه إلى «الأخبار» عقب العودة من العقيقة، قال اللاقي: «خلقنا فريقاً بروح عالية، وعملنا تكتيكياً بشكل حديث على المستويين الدفاعي والهجومي، وقد كان لدي إصرار لتطبيق الأفكار الفنية كما هي. لذا استبعدت لاعبين، ربما هم أصحاب مستوى أعلى من غيرهم، لكن بما أنهم لا يمكنهم تطبيق أفكار في ما خض أسلوب اللعب، فقد كانوا خارج الحسابات».

وتابع: «وفي ظل حصولي على دعم كامل من الاتحاد لاختيار الأسماء المناسبة، تمكنا من إرساء توازن بين الدفاع والهجوم، بموازاة العمل على رفع المستوى البدني قدر الإمكان، إذ يجب ألا ننسى أننا نحضرن في فترة قصيرة بعد توقف النشاط بسبب الحرب، لكن رغم ذلك أظهرنا قوتنا على مختلف المستويات، وخصوصاً أننا حافظنا على شابكان نظيفة في أربع من أصل خمس مباريات، وهذا يدل على انضباط الفريق وتعامله

انطلاقاً من التجربة الناجحة في النسخة السابقة لبطولة غرب آسيا حين وصل منتخب لبنان للناشئين إلى المباراة النهائية. كان الإنجاز الكبير بانتظار مجموعة من المواهب الشابة وصاحبة الإصرار الكبير لتحقيق شيء ما. خسارة النهائي الماضي لقيت احتضاناً من قبل الاتحاد اللبناني لكرة القدم لجهاز فني شاب ومواكب للتطور الذي تشهده كرة القدم الحديثة. ومع المدرب رايمي اللاقي المتخصص بحصد الإنجازات في بطولات الفئات العمرية المحلية، ظهرت شخصية المنتخب داخل الملعب بشكل يشبه الذهنية الفنية المتطورة التي يتمتع بها، ما يترك قناعة منطقية بأن العمل مع الفئات العمرية لا يكون مجرد تحضير لبطولة محددة، بل مساراً متدرجاً لتكوين اللاعب يوصله ببساطة



NOUGAT.26 - مديون

(نهاد علم الدين)

الإعلانات
الوكيل الصحفي 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوانك
03 / 828381 - 01 / 666314-15
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

f /AlakhbarNews
X @AlakhbarNews
i /AlakhbarNews

المكاتب
بيروت - فردان - شام دونان - سنتر
كونكوردي الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

المدير الفني
صلاح الموسى

مجلس التحرير
امال الاندي
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

رئيس التحرير
ابراهيم الامين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

الأخبار
al-akhbar
مادة عن
شركة اخبار بيروت



الإذلال

حين يصبح العنف وهماً بالنصر

سعید محمد

تقدم روكسان إيوبن في كتابها «مدفوعون للركوع: الإذلال في السياسة المعاصرة» (منشورات جامعة برينستون) تشريحاً فلسفياً وسيكولوجياً لآليات العنف الاستعراضي، مبينةً كيف يتحول طقس إذلال الخصم من انفعال لحظي عابر إلى بنية هيمنة هيكلية تعيد رسم صورة القوة.

تكتسب هذه المقاربة ثقلها التحليلي عبر تفكيك آليات إنتاج السلطة من خلال الصورة، حيث يُوظف الألم الإنساني للأسير كرسالة سياسية مشفرة تخاطب جمهور الأتباع، لتعويض أزمة الغياب الحاد للفاعلية التاريخية والأصالة السياسية.

لدى تقاطعه مع جدلية «السيد والعبد» الهيجلية، يتيح تحليل إيوبن فهماً يتجاوز المشهدية البصرية لظاهرة العنف الإسلام السياسي نحو الإمساك بجوهر التبعية الكامنة في صميمه. يشترط التأسيس الهيجلي لاكتمال وعي «السيد» بسيادته، انتزاع اعتراف من «العبد»، لكن طلب إثبات الاستقلال من ذاتٍ جُرِّدت منه سلفاً لا يمنح

الاعتراف المنتزع بالإكراه اليقيني المنشود.

يفكك هذا المنظور المعضلة الوجودية للفاعل الراديكالي، إذ يدرك في عمق لاوعيه السياسي، افتقار انتصاراته الميدانية للقوة الذاتية الأصلية أو التفوق الحضاري، مرجعاً إياها إلى تقاطعات استخباراتية وديناميكيات حروب الوكالة المدارة من عواصم بعيدة.

يدفع هذا الإدراك المأساوي بالفاعل الوظيفي نحو استجلاب «الاعتراف» بشتى السبل العنيفة، مستخدماً القوة المفرطة لترميم هشاشة سيادته المستعارة.

وهكذا يُصنع النصر «أدائياً» في اللحظة التي يُجبر فيها الخصم-النموذج على الركوع أمام الكاميرات، محيلاً الافتقار العميق لمقومات الدولة العضوية إلى «مشاهد سيادة استعراضية» تغدو فيها الشاشات الرقمية فضاءً بديلاً من المؤسسات الغائبة، وتكون فيها مقاطع الإعدامات المصورة بعناية سينمائية مصحوبة بالملابس البرتقالية والاستعراضات بالغلة القسوة، كقناع مسرحي كثيف يرمي إلى طمس حقيقة ارتهان هذا الفاعل لمراكز القوى العالمية.

يتحول الإذلال في هذا النمط البصري إلى آلية

سيكولوجية معقدة لإنتاج وهم امتلاك «سلطة أن تُحيى وتميت»، ما يسهم في تضخيم الذات الراديكالية ومنحها شعوراً مؤقتاً بالتحكم المطلق في مصائر الآخرين، مستنداً إلى استعارات ذكورية مكثفة تربط ممارسة السلطة الباطشة بتحقيق الفحولة السياسية. لكنها فحولة تحيل العنف الانتقامي إلى انتصار أجوف بمجرد انكشاف اعتمادها الكلي على أدوات الدعم الخارجي وتوجيهات غرف العمليات، لتغدو مجرد محاولة مستميتة لإقناع الذات المهزومة داخلياً بواقعية هذا النصر المزيّف وجدارته التاريخية.

ولهذا، يظل المنتصر مفتقراً باستمرار إلى ضحية جديدة تلعب دور العبد المنكسر ليتشرب وهم «سيادته» وينتشي بلحظة تفوقه العابرة. وبمجرد انطفاء أضواء الكاميرات، يعود هذا الكيان المتورم انتشاءً بالدم ليعانق قيوده الوظيفية مجدداً، راضحاً كلياً لمعادلات القوى المحركة لمساره، ومجسّداً مأساة كيانات عاجزة عن إنتاج سيادة عضوية ومكتفية باجتراح مشاهد إذلال للعزل تمنحها وهماً بالخلود وسط بحر من الارتهان المطلق.

فكر

عودة إلى «الحبسة الاستعمارية» وشيزوفرينيا الديمقراطيات الغربية

لورا ستولر... عن الوعي المقهور واللغة المصادرة

من خلال مفهوم «الحبسة الاستعمارية»، تكشف الباحثة أن لورا ستولر كيف يمكن للتاريخ أن يكون معروفاً، لكن معناه معطلاً، وكيف يحتكر المستعمر حق تسمية الماضي وتفسير الحاضر، فيما يحرم المقهور من اللغة التي تتيح له رواية جرحه والمطالبة بالعدالة

بوه مخلوقه

لا ينبع صمت الإنسان المقهور من جهله بما أصابه، قد تكون ذاكرته من فرط حضورها عبثاً لا يحتمل. غير أن القوة التي أحدثت الجرح تحترق أيضاً حق تسميته. تضع الجهة القاهرة أسماء الأشياء، وتدير المحفوظات الرسمية، وتسيطر على منابر التعليم، وتقرر ما يدخل سجل التاريخ وما يقصى إلى هوامشه. يعرف المقهور تجربته، لكنه لن يدفع إلى روايته بلغة صاغها القاهر، فيجد أن المفاهيم المتاحة له تلمس جرحه قبل أن تساعد على وصفه، يحدث هذا التشرخ ويحدث معه ما نقول عنه الإغتراب أو الاستلاب؛ حين تنفصل المعرفة عن القدرة على التعبير عنها. هكذا، ندعو أمام حقيقة راسخة في الجسد والذاكرة يقابلها خطاب عام يجرمها الاسم الذي يجعلها مرئية، ويحول دون ارتقاؤها إلى منزلة الحقيقة التي وجب الاعتراف بها. اقترب مصطفى حسباري من هذه السلبية في كتابه «التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية

”

كشف فرانس فانون أن الاستعمار يتسلل إلى الأعصاب والأحلام واللاغة

الإنسان المقهور». الخضوع أو الصمت أو العدوان المنحول إلى الأضعف لا تصدر، في تحليله، عن طبيعة ناقصة في الإنسان، إنها استجابات تنشأ داخل وضعية قهر تسلبه القدرة على الفعل، ثم تحاسبه على صورة العجز التي صنعتها فيه. من الجزائر، كشف فرانس فانون أن الاستعمار لا يقتني بأحلال الأرض، إذ يتسلل إلى الأعصاب والأحلام واللغة، يظل التعذيب مقبماً في جسد ضحيته بعد توقيفه، ويصنف أثره إلى الجلال نفسه؛ فقد وصف فانون شرقياً أوروبا نقل منطق غربة التحقيق إلى بيته، فضرب زوجته وأطفاله لأنه صار يرى الاعتراض استفزازاً يستوجب البطش.

لا يتساوى الموقفان في الألم أو المسؤولية لطبيعة الحال. المستعمر المقهور يتلقى عنفاً مفروضاً فيما المستعمر يمارس سلطة (قد) ينعكس عنفها إليه، من هذا التفاوت تحديداً، صاغت الأنثروبولوجية أن لورا ستولر مفهوم «الحبسة الاستعمارية» فهي تستخدم الحبسة أساساً لتحخيص معرفة المركز الاستعماري السابق؛ معرفة

تملك الوقائع، من أرشيفات رسمية وحق التسمية وقواعد اللغة وغيرها ما يجعل المستعبر غير قادر على إيجاب لغته إنما يبقى أسيراً في سجنها الرمزي، يصاب المستعمر بالحبسة المعرفية، أو نفرض عليه، حين تنتزع منه مفرداته، ويعاد ترتيب عالمه داخل أسماء المستعمر وتصنيفاته.

الخبسة بوصفها عطلا في المعرفة

الخبسة في أصلها الطبي اضطراب يصيب القدرة على استخدام اللغة أو فهمها، مع أن المصاب قد يبقى واعياً بما يريد قوله غير أنه عاجز عليه. نقلت ستولر اللفظ إلى مجال التاريخ والسياسة، ونشرت سنة 2011 دراستها «الخبسة الاستعمارية: العرق والتواريخ المعطلة في فرنسا»، ثم وسعت الفكرة في كتابها «تحت وطأة الاستعمار» في الكتابين، جاء سؤال ستولر كالآتي: كيف يمكن لمعرفة متاحة أن تفقد قدرتها على تفسير العالم؟

حددت ستولر ثلاثة وجوه لهذا العطل. يبدأ الأول بحجب معرفة موجودة أو دفعها إلى هامش لا يبدل المعرفة لأنه صار يرى الاعتراض استغزازاً يستوجب البطش. عن توليد مفردات تصل الكلمات الملائمة بالأشياء التي تسميها مثل أن يذكر العرق من دون الاستعمار، وتذكر الهجرة من دون الطرق التي فتحتها الإمبراطورية. أما الوجه الثالث، فيتمثل في صعوبة إدراك الدلالة المستمرة لما سبق قوله، قد تعترف الدولة بالتعذيب أو النهب، ثم تحاصر الاعتراف في زمن منقض، فيصير الحدث معلوماً لكن منزوع

القدرة على مساءلة الحاضر وإطلاق الحق التسمية وقواعد اللغة وغيرها لهذا تفضل ستولر مصطلح «الخبسة» على «النسيان». يوجي النسيان بأن المعرفة أخفقت، وأن استرجاع الوثائق كافٍ لاستعادتها. أما الخبسة، فتصف معرفة لم تختف تماماً بل تعطلت مسالك الوصول إليها، وتفتعل صلاتها، وفقدت الكلمات قدرتها على الإحالة إلى الدنى التي أنتجتها. السالة بالتالي، تتجاوز مقدار ما تحفظه الأمة من تاريخها إلى الطريقة التي ترتب بها ما تحفظه، والحدود، التي تضعها بين الواقعة ومعناها.

فرنسا التي تفقد الجمهورية عن الإمبراطورية

تختذ ستولر من فرنسا ميداناً أساسياً لتحليلها. نحن نقول مثلاً إنَّ النسيان يصاب بشيزوفرينيا، بمعنى انه يفرط في الدخال واستعماري في الخارج. والحال أن الحكاية الوطنية الفرنسية اعتادت أن تعرض الجمهورية والإمبراطورية كعاملين متباعين في الأولى نقرا عن مواطنة ومسواة وكونية، وفي الثانية نقراً عن مستعمرات بعيدة وقعت فيها جرائم وانتهاكات إنسانية، ينتج هذا الفصل للجمهورية أن تحفظ بصورة أخلاقية نقية، وكان قوانين الاستثناء لم تشارك في تشكيل المجتمع الفرنسي.

تكشف الخبسة هشاشة هذا الفصل، مما يفرض بالتالي هذه الشيزوفرينا. انتفاضات الجمهوريات الفرنسية سنة 2005، سيطرت لغة الأمن والشغب وفشل الاندماج. انصب الخطر على السياسارات الحترقة والشبان الغاضبين، وتراجعت السؤال



كلمات

في الهوامش معلومات تكشف أن الأنة والإمبراطورية تشكلتا معاً، فيما يظل من الرواية الوطنية بمناى عن هذه الصيرورة، حين يطفو أثر فرنسا الاستعماري في الحاضر، تستقبله اللغة السائدة كظاهرة مستحدثة، مقطوعة النسب، لا ماضٍ يفسرها ولا تاريخ يقود إليها. تكشف كلمة «مهاجر» إحدى طرق هذا المحو. تصف إنساناً انتقل من بلد إلى آخر، لكنها تبدأ الحكاية من لحظة وصوله، متجاهلة الطريق التاريخية التي سبقت خطاه. صار هناك «مهاجر» لأن ثمة جيوشاً عبرت، واقتصادات أعيد تشكيلها، ولغات فرضت، وأسواق عمل استقدمت الأيدي العاملة من المستعمرات.

مثال ثانٍ هو كلمة «اندماج». تؤدي هذه الكلمة وظيفة مشابهة حين تجعل الفرد وحده موضع الاختبار. فالقادم من وطنه إلى بلد آخر عليه أولاً إتقان لغة البلد القادم إليه، ووجوب عليه القبول بالقيم والقواعد العامة، وإثبات قدرته على الولاء، فيما يُعفى المجتمع الذي يستقبله من مساءلة مؤسساته وذاكرته وسبب قدوم هذا الشخص إلى وطنه الأم. يتحول الاندماج إلى امتحان يؤديه المهاجر أمام سلطة تقرر نجاحه أو إخفاقه، بعدما كان يفترض أن يكون عليه علاقة تشترك في صنعها المدرسة وسوق العمل وسياسات السكن وأجهزة الشرطة. بهذه الحيلة اللغوية، تختزل بنية تاريخية كاملة في عيب ينسب إلى فرد أو جماعة. تلغ الحبسة ذروتها حين تفكر وجود «العرق». يعلن الخطاب الجمهوري أنه لا يرى سوى مواطنين متساوين، في الوقت الذي تتفاوت فيه فرص العمل والسكن بين كل العرق الأسود والعرق الأبيض. إن الامتناع عن تسمية التفاوت الحاصل لا يبطئه، إنه يجبهه عن المساءلة ويمنحه قدرة إضافية على الاستمرار. هكذا، نتجج الحبسة في إعادة إنتاج بنية الهيمنة، وفي ضمايتها استاتيكو يضمن حق المستعمر والقاهر.

عن التاريخ الذي أنشأ تلك الضواحي وجمع فيها أبناء المستعمرات السابقة، وحين لجأت الدولة إلى قانون للطوارئ تعود جذوره إلى حرب الجزائر، حضر الماضي في صلب الأداة القانونية فيما ظل غائباً عن التفسير السياسي السائد. في حين كان التاريخ (جرائم الاستعمار) يعمل من داخل الحاضر، كانت اللغة تمنع رؤيته إلا كشائبه عابر أو استحالة لا يمكن بلوغها.

المفروضة المستعمر والخبسة

ينبغي هذا التمييز بين مفهوم ستولر الأصلي وتوسعه لاحقاً في الحيز ما بعد الاستعماري. تتشخص ستولر خبسة المؤسسات الفرنسية التي تعزف الإمبراطورية وتعجز عن وصلها ببنية الحاضر، أما المستعمر، فيتعرض لعملية إزاحة؛ هو لا يفقد ذاكرته تلقائياً، وإنما تُنتزع من معرفته سلطة التسمية، تضع الإدارة الاستعمارية أسماء جديدة للأرض والسكان، وتقسّم الناس إلى أعراق وطوائف وقبائل، ثم تعامل تلك التصنيفات كأنها حقائق جوهر، تؤكد على استحالة العدالة لأن المسألة والحكمة، أي الانصياح لكلام المقهور، معلقتان (لأبد) بل غائبتان.

كيف تصاب المعرفة بالخبسة؟

لا تحتاج الحبسة الاستعمارية إلى قرار صريح بمحو التاريخ؛ فهي تعطل أثره من خلال الفصل والتصنيف وإعادة التسمية. تفصل فرنسا تاريخ جمهوريتها عن تاريخ مستعمراتها، تُدرس الجمهورية داخل حدودها الأوروبية، وتُدفع الإمبراطورية إلى الهامش كأنها امتداد خارجي طارئ. هكذا تتركز

كلمات

إلى استعارة القاموس الذي زُتِب له لإثبات نقصه. لا يعني ذلك أن المستعمر يفقد القدرة على المقاومة أو إنتاج المعرفة، لقد نشأت الأداب والحركات الوطنية وكتابات التحرر من رفض هذه المصادرة. غير أن المقاومة تعمل داخل ميدانٍ غير متكافئ: لغة القوة موثقة ومختومة ومحفوظة، فيما تحتاج ذاكرة المقهور كل مرة إلى إثبات أهليتها. الحبسة هنا ليست صمماً ذاتياً؛ إنها حصار يبطق الكلام، ويفصل الطريق المصطلحات التي تمنحها شرعية عامة.

تشارك المدرسة الاستعمارية في صنع هذا الانفصال حين تقدم لغة المحلل بوصفها طريق العقل الوحيد، وتحيل لغة البلاد إلى البيت والعاطفة والحكاية الشفوية. في توزيع الأرض والثروة والحقوقي. انتعدت عن أسماء علمه، وأن دخوله إلى المجال العام مشروط بترجمة نفسه إلى قاموس القوة أي إلى لغة المستعمر. والحال أنه قد يمنحه إتقان ذلك القاموس أداة للمقاومة، كما حدث مع كثير من كتاب التحرر، لكنه يضعه أيضاً أمام اشتقاق دائم: بأي لغة يروي التجربة من دون أن تفقد نبرتها، وكيف يستخدم مفاهيم المستعمر من دون أن تعيد تلك المفاهيم حبسه داخل الصورة التي رسمتها له؟ لا تكمن العقدة في التعدد اللغوي إنما في التفاوت السياسي بين اللغات وفي احتكار أحداها حق تقرير ما يُعد معرفة. في هذا السياق يمكننا وصل ستولر بقانون يدين قانون كيف يدخل الاستعمار إلى صورة المستعمر عن نفسه، فيدفعه إلى قياس إنسانيته بمعايير المستعمر. توضح ستولر كيف تحمي مؤسسات المعرفة هذا القياس بعد زوال الحكم الاستعماري المباشر. ما كان يفرض بالسلاح يستطيع أن يستعمر في المنهج والمحف والمحفوظات والقانون، وفي السؤال الذي يحدد مسبقاً أي صوت يملك صفة الشاهد وأي صوت يعامل كموضوع للفحص.

محفوظات تتكلم بلسان السلطة
من أهم إضافات ستولر أن المحفوظات ليست مستودعاً محايداً للماضي. أنشأتها سلطة قررت ما يستحق التسجيل، وسقت السكان، ورتبت صفاتهم، وحددت أي حياة تظهر في ملف وأنها تمر بلا كتابة. قد تكون الوثيقة دقيقة في وصف ما أرادت الإدارة معرفته لكنها تحمل أيضاً حدود نظرها ومخاوفها وأغراض حكمها.

لهذا لا تكفي استعادة وثيقة مخفية. القراءة المضادة للاستعمار تسال عن اللغة التي صنعت الملف. يعني أسئلة على شاكلة: من كتب؟ ولأي غرض؟ ما اللغة التي وضع الإنسان داخلها؟ وما الذي صار غير مرئي لأن الإدارة لم تتحج إلى رؤيته؟ قد يكون الفراغ في المحفوظات دليلاً على ترتيبه ومعرفته خرافة، وتاريخه زمناً راكداً ينتظر وصول أوروبا. شيء شبيه بما كتبه إدوارد سعيد في الاشتراق، وبالتأكيد يشبه تحليل الصحافيين الأجانب لمنطقنا حين يرون أن أزماننا نتاج نزاع أهلية وحروب قبلية وطائفية من دون احتساب تدخلات بلدانهم السافرة وتسال كيف أمكن عزل نغدهما للمعرفة والسلطة عن الوسط الاستعماري والعرقى الذي تشكلت

فيه أسئلة كثيرة. تعترض على طريقة عدم ربط التاريخ الحاضر بالإمبراطورية التي سبقتها، وجعلها خلفية قابلة للحذف من سيرة الفكر الأوروبي.

حين تقوم الذاكرة مقام النسيان

ربما تعترف الدولة بماضيها، وتقيم نصباً للضحايا، وتخصص يوماً لذكراهم، وتضيف أسماءهم في صفحات الكتب المدرسية. لهذه الأفعال قيمة حين تفتح باب المساءلة وتعيد توزيع حق الكلام. غير أنها تستطيع أن تؤدي وظيفة معاكسة: تمنح المجتمع شعوراً بأنه أدى واجبه تجاه الموتى، ثم تعفيه من الإصغاء إلى الأحياء. يحضر الماضي في احتفال سنوي، ويمنع من التدخل في صفحات التاريخ. خرق الشعور، إن ما من ذلك الشعور، خرج مشروع استغرق إنجازَه عامين، وفتح كلام سعيد القديم على حاضر يكرر الأسئلة التي لازمته طوال حياته. من يملك حق الكلام؟ من تصدق روايته؟ وكيف ينتزع شعب كامل صورته من يد من صورَه طويلاً؟

استعادة القدرة على التسمية

لا تتحقق مقاومة الخبسة بتكديس مزيد من المعلومات. تبدأ بإعادة بناء الصلات التي فكتت: بين قانون الطوارئ وتاريخ الحرب، وبين الهجرة ومسارات الإمبراطورية، وبين مقتنيات المتحف واليد التي انتزعنها، وبين الاسم المخبئ في الوثيقة والحياة التي أخفاها الاسم. إنها تقتضي أيضاً تغيير منزلة كلام المستعمر. شهادته ليست زينة وجدانية تضاف إلى رواية اكتملت وأكملها المستعمر؛ إنها معرفة قادرة على تبديل بنية الرواية ومعايير الإثبات فيها. فتحق الكلام لا يكتمل عندما يسمح للمقهور بأن يروي، وإنما حين تستطيع روايته أن تغير السؤال وتعيد تسمية الفاعل والمفعول به.

تعلمنا ستولر أن التاريخ قد يكون معروفاً ومحايداً في اللحظة نفسها: محروفاً بوصفه مجموعة وقائع، ومحايداً حين تُقطع صلاته بالقانون والمدينة والحدود والتراتيب الراهنة. وتكشف القراءة ما بعد الاستعمارية وجهاً آخر للمشكلة: المستعمر قد يعرف ما حدث، فيما تحاضر لغته أو يُدفع إلى وصف نفسه بمفردات خصمه.

أشد أشكال الخبسة مكرراً أن يتكلم المستعمر بلغة واحدة، وأن يبقى المقهور عاجزاً عن إدخال معرفته في الجملة العامة. مهمة النقد أن يستعيد تلك الجملة من يد القوة؛ يعيد إليها فاعلها الحذف، ويصل الأثر بسببه، ويمنح أصابع التجربة حق تسمية عالمه. عندئذٍ يغادر الماضي المتحف، وتُسرد المعرفة قدرتها على إزعاج الحاضر.

إدوارد سعيد

فلسطين تستعيد صوتها من الأرشيف

كُلما ضاقت الحال بفلسطين في نشرات الأخبار، اتسعت الحاجة إلى استحضار إدوارد سعيد. الرجل الذي رحل قبل ثلاثة وعشرين عاماً أدرك باكراً أنَّ المسألة الفلسطينية بدأت مرتين: حين سلب الفلسطيني من أرضه، وحين سلبت منه رواية ما جرى. فيما تحضر الفاجعة الغزية، لا بد من العودة إلى سعيد ليمنح الفلسطيني اسمه وصوته ويمنح فلسطين من السلب. يبدو أن الحاضر، وقد أعياه الكلام، يفرض حاجة العودة إلى أحد أكثر أبنائه قدرة على وصل الجرح بحكايته. هذه العودة هي جوهر الوثائقي الأميركي «إدوارد سعيد: بين عالين» للمخرجة والمنتجة مايكن بيرد، الذي شهد عرضه العالمي الأول في مهرجان تورونتو السينمائي، الشهر الماضي. بيني الفيلم (107 د) سيرة صاحبه من اللواد الأرشيفي، تاركاً لسعيد أن يروي نفسه بصوته وصورته. هكذا يظهر كما كان عليه: بروفيسور يحاضر، ومتفك يجادل، وينظر موسيقي يعزف، ويطرح أفكاره بنبرة جمعت حدة البرهان مع وجدان التجربة.

عرفت بيرد سعيد في جامعة كولومبيا خلال ثمانينيات القرن الماضي. شعرت بعد السابغ من أكتوبر والحرب على غزة، بأن غيابه صار أكثر وطأة. افترقت، كما تقول، حكمته وإنسانيته وقدرته على رواية فلسطين من داخل التجربة ومن عمق التاريخ في أن. من ذلك الشعور، خرج مشروع استغرق إنجازَه عامين، وفتح كلام سعيد القديم على حاضر يكرر الأسئلة التي لازمته طوال حياته. من يملك حق الكلام؟ من تصدق روايته؟ وكيف ينتزع شعب كامل صورته من يد من صورَه طويلاً؟

سيرة منهف بيت القدس ونيويورك

تبدأ الحكاية من القدس، حيث وُلد سعيد عام 1935، ثم ارتحل مع العائلة إلى مصر بعد نكبة 1948. ومنها إلى المدرسة وتحصيله العلمي في الولايات المتحدة. تتوالى سنوات الدراسة، فالترديس في جامعة كولومبيا، والبقطة السياسية التي ستجعل أستاذ الأدب المقارن أحد أبرز الأصوات المدافعة عن فلسطين في العالم. تمرّ السيرة على كتبه، وفي مقدماتها «الاستشراق»، وعلى حياته مع زوجته، ثم على معركته الطويلة مع سرطان الدم حتى وفاته في نيويورك عام 2003. من خلال هذا المسار الشخصي، تتكشف سيرة أخرى أوسع: هي سيرة وطن مفقود، ومنغى مهول، وذات مسببة تسعى كل يوم إلى تقديم برهان جديد يثبت وجودها وحقوق على الأرض ورواية التاريخ. يلخص عنوان «بين عالين» حياة سعيد الكاملة. عاش بين القدس والقاهرة ونيويورك، بين العربية والإنكليزية، بين ذاكرة البيت ومؤسسات الغرب، وبين موقع الأكاديمي وقلق النفي. صاغ من ذلك التمرّز موقعاً لدرؤية، كان تكون في أكثر من مكان يعني أن ترى حدود كل مكان، وأن تتكشف ما تخفيه الروايات السائدة خلف صلابتها.



أفلام منزلية تستعيد فلسطين قبل النكبة

جمع صناع الفيلم المادة من أرشيف جامعة كولومبيا، ومن محاضرات وبرامج إذاعية ومقابلات ووثائقيات من أنحاء العالم. تضم المجموعة تسجيلات بالعربية والفرنسية، ومواد من التلفزيون الهولندي والسويدي، إلى جانب كنز بصري ظل زمناً في حوزة العائلة. هو أول وثائقي ينال وصولاً كاملاً إلى أرشيف الأشخاص، وفيه أفلام منزلية صورها والده كاميلا ثمانية مليترات خلال ثلاثينيات القرن الماضي وأربعينياته. تظهر العائلة، وتظهر معها فلسطين قبل قيام إسرائيل. تظهر أيضاً الحياة اليومية للعائلة، ووجوه، وأمكنة تستعيد حركتها بعدما حاصرتها اللغة السياسية طويلاً في زمن غامض اسمه «ما قبل». هكذا، يكتبس الأرشيف قوته الأخلاقية. إنه يقدم وليلاً حشياً على عالم عاشر أهل سعيد، أي جيل فلسطيني عرف بلاده قبل أن يتعرض للاقتلال والمحو. والوثائقي يعيد أيضاً إلى الفلسطينيين هيئة الألس بعدما اختزلتهم الشاشة في صورتين: صورة مقاتل يقدم بوصفه خطراً، أو ضحية صامتة لا تصل إلى المشاهد إلا لجة على هاتفه. احتاجت مئات الساعات المصورة إلى أكثر من عام كي تستقر في بناء واحد. اختيرت محطات يتروّد صداها في الحاضر، وفي طليعتها الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، فيما غابت الانتفاضة الثانية بعدما رأى الفريق أن حضورها لن يضيف مساراً جديداً إلى الفيلم. والحال أن العمل أفرد عناية خاصة للفصل بين اليهودية والصهيونية، مقدّماً الصهيونية وفق رؤية سعيد، مشروعا سياسياً استعماريًا استيطانيًا لا علاقة لليهودية به. يحزّز هذا الفصل النقاش من التعميم الديني، ويضعه في ميدانه التاريخي حيث تفحص الإنكار من خلال ما أحدثته في الأرض والناس.

حين تصدم الرواية الفلسطينية بحدار التوزيع

الظلم أن ولادة الفيلم نفسها تحمل شيئاً من موضوعه. فعلمٌ يدافع عن حق الفلسطيني في رواية حكايته وجد أبواب التمويل والتوزيع شبه موصدة. احتاج المشروع إلى 11 منتجاً تنفيذياً، وإلى دعم عدة شركات إنتاج. الحساسية ظهرت لدى موظفين من منصات كبرى مثل نتفليكس وأبل، ثم توقفت عند حساسيات الإدارات العليا. كان الاهتمام الدولي واضحاً، بينما ظل الوصول إلى موزع قوي في الولايات المتحدة وكندا شاقاً؛ كان الفيلم واجه، في طريقه إلى الجمهور، الجدار نفسه الذي يحاول تفكيكه على الإنكار من خلال ما أحدثته في الأرض والناس.

من يملك الحق في رواية فلسطين؟

تنبع أهمية «إدوارد سعيد: بين عالين» بعد السابغ من أكتوبر من اختياره العودة إلى الجنز. سيل الصور المتدفق من غزة كشف الغطاء، لكن التعاطف وحده لا يكفي. صمبح أن الصورة تهرّ الضمير لكن الحكاية تمنح الفاجعة سياقاً يحجبها من النسيان والتلاعب. على هذا النحو، يستعيد الفيلم سؤال سعيد الأعمق ويعيد طرحه من جديد: من الذي يملك الإنن بأن يروي؟ وما هي الرواية غير المسموعة؟ كان هذا الوثائقي يعطي الضحية الحق في الكلام من دون أن يطلب من الجلال إنه لإصغاء. أمضى سعيد حياته وهو ينتزع لفلسطين مكاناً في اللغة العالمية. وما هو يعود، بعد أكثر من عقدين على رحيله، كي يذكر بأن هذا الشعب لم يولد في صباح السابغ من أكتوبر، وأن تاريخه أقدم من العنوان العاجل وأوسع من إطار الكاميرا. هو وثائقي يعيد إلى الحاضر أداة المقاومة. أن تروي نفسك قبل أن يستقر صوت الآخرين في موضع صوته، وأن تحفظ الذاكرة وتبقيها على قيد الحياة في مواجهة المحو والاقتلاع.

يول...

فصل من رواية

خيوط البارود*

زياد احمد محافظة

بينما كان القصر يعج بالوفود والمعزين، ويحفل بالقلق والصدمة المصطنعة، والدولة برمتها تقف على رؤوس أصابعها، كان جوزيف الموعود بالسلطة في ذروة خوفه وارتيابه، ما يرهقه أكثر هو معرفته الدقيقة بحجمه الحقيقي. لم يكن بحاجة إلى من يذكره بأن المنصب الذي آل إليه أعقد منه، وأن الدولة التي ورثها أثقل من أن توضع فوق كتفين مهزوزتين، اما الكرسي الذي جلس عليه، فلم يُصنع لرجل يحمل هذا القدر من الضعف والتردد

والارتباك. كان يسمع صوت الحقيقة التي يحاول كبثها في داخله كل ليلة؛ الحقيقة التي تقول من دون مواربة إنه يلعب دوراً لا يتقنه، ويمسك دفة

أصغر من أن يحمل هذا الإرث المقل بالدماء والخوف.

في تلك الليلة، لم يكن قائداً، ولا وريثاً، ولا حتى رجلاً قوياً. كان مجرد شخص مذعور، يقف وحيداً أمام عرش من الرعب والحطام.

خجول النظرات، مرتبك الخطى، يتكئ على هيبية لم يصنعها، ويتوارى خلف سلطة لم يجتهد لنيلها. هكذا وجد جوزيف الرضواني نفسه أمام الجميع. كان يبحث عن وجه يمنحه شعوراً زائفاً بالثبات.

وهي، بجمال هائلٍ وذكاء صامت ومتقن، كانت تدرك تماماً موقعه في تلك المعادلة. لم تكن مسألة كما ظن الجميع؛ كانت ترى فيه بوابة إلى حياة أوسع، ونفوذ أسهل، ومكان في قلب سلطة تتصنع من الداخل.

حدث اللقاء الأول بينهما على متن طائرة رئاسية في طريق العودة من زيارة رسمية برئاسة جوزيف الرضواني نفسه. كان ضمن الوفد الموت والغسوة، يجفل قلبه كلما رأى صورة والده على الجدار، كان

لحظة يلتف بها نظر الابن الموعود، بكلمة أو ابتسامة أو موقف أو إطرأ. جلس جوزيف الرضواني صامتاً معظم الرحلة، محاصراً بقلقه وخجله، يصغي لما يقال له ويراجع في ذهنه تفاصيل الزيارة واللقاءات التي شهدها.

في تلك الرحلة، اقترح عليه أحد المستشارين أن يجتمع بفريق العمل داخل الطائرة ليشكرهم على جهودهم. لفظة بروتوكولية ظنّها مناسبة لوريث يُعَدّ على عجل، ويُراد له أن يبدو قريباً من طاقم عمله. بدا متوتراً بعض الشيء، يحاول أن يبدو واثقاً أمام فريق يعرف سطحيته وهشاشته.

حين تحلق الجميع حوله، وبينما يطالع نبئة صغيرة أهديت له في مراسم الوداع الرسمية، قال محاولاً تلطيف الأجواء وإضفاء مسحة من الطائفة على اللقاء: — هدية لطيفة. ألم يجدوا شيئاً أكثر قيمة من هذه الشجرة الصغيرة يهدونها إياها؟ ساد صمت ثقيل، تبادل المسؤولون والمستشارون نظرات مرتبكة، غير

كلمات

قادرين على تقديم إجابة تخرج الموقف من سذاجة السؤال. طال الصمت وازداد وقعه، عندها فقط، رفعت رأسها، ويهدوء لا يخلو من ثقة، قالت لتكسر حدة الصمت: — إنها شجرة الحياة عندهم، أعلى درجات التكريم لدى شعبهم. تُهدى فقط لمن يعدونه حاملاً لآلئ. إنها تعني أنهم راوا فيكم استمراراً لنهج والدكم العظيم وحضوره الشامخ، وهذا أقصى ما يمكنكم تقديمه من إجلال وتقدير.

بخلاف جميع الحاضرين، أعجب برزها المتقن، بجراتها وملامحها الرائقة وصوتها العذب. حين سال عنها في ما بعد، قيل له: — اسمها ليندا؛ من طاقم وزارة الخارجية. لم يكن وقع كلماتها عليه عابراً؛ رأى فيها نكأة حاداً، وشخصية قوية تجاوزت الجميع. كانت إجابة واحدة منها كافية لتشعل شرارة اهتمام لم ينطفئ؛ اهتمام رجل وجد نفسه من دون أن يدري، ينجذب لفنأة تعرف تماماً كيف تحول نبئة صغيرة إلى سرمد متقن عن رموز الدول وشيفراتها الدبلوماسية. لعله رأى فيها ما يفقده هو شخصياً؛ ثباتاً الشيء المناسب في اللحظة المناسبة. من ذاك الارتعاش الشاسق، بدأت خيوط الحكاية تُنسج ببطء؛ لقاءات ومحادثات وابتسامات دافئة تخفي

أكثر مما تعلن. لم يكن ذاك الموقف ليمر بسلام على جهات عدة تراقب كل شيء، وتحصي على الناس أنفاسها وحركاتها، ما حدث داخل الطائرة يومها أزعج أحد كبار المسؤولين، معتبراً تصرفها تدعيماً غير مقبول، فقرر أن يضعها في الظل ويحدّ من أدوارها يهدوء لا يخلو من الانتقام. لكنها كانت أدنى وأخبت من أن تستسلم لكيدة كهذه. حين سئحت لها اللحظة وبعد أن توطدت علاقتها بالرئيس الموعود وصار طوع بديها، طلبت منه بشيء من الدلال والحنن المتقن الذي يخفي جرحاً متعمداً، أن يثار لها، لا لأنها ضعيفة ووحيدة، لكنها أرادت أن تربه كيف ينتصر لقاته هو أيضاً، ويفرض سطوته على الجميع.

حين التقاهم بعد مدة، وقفت أمامه بثقة هائلة ودلال، وقالت بنبرة ممزوجة بالعتب: — ظننت أن قرار إيقافني ونهيميشي قد صدر منك، كنت أبحث عن تفسير لما يجري معي، ولم أجد سوى أن ردي على السؤال في الطائرة ذاك النهار، لم يعجبك؛ أَسععت عيناه من الدهشة، وأجاب بارتباك واضح كمن يدفع تهمة عن نفسه: — أنا؟ كلا، لم يصدر عني شيء من هذا. أقسم لك. على العكس تماماً، رداك الجميل يومها هو من قربني إليك ومهّد الطريق لما نحن فيه اليوم.

صممت لحظة، ثم قالت وهي تتمايل بدلال وتحديق في ملامحه كمن يختبر صدقه: — غريب! لقد تجاوزك أحدهم إذاً، وهذا أخطر، أخطر بكثير. تأنهت الكلمات إلى داخله كصفعة سدوية، شعر بالضعف يتسرّب لخلاياه، بينما تابعت هي حديثها بهدوء بشي يصفل وقوة.

في تلك الليلة على وجه الخصوص، أدركت أنها لم تعد موظفة في سلك الدولة، باتت الآن امرأة تعرف أين تقدر الشرارة وكيف تجعلها تكبر. انصاع جوزيف الرضواني لطلبها، وخلال وقت قصير، أصدر قراراً بعزل ذاك المسؤول ومعاقبته، ونقلها لتعمل في القصر بجانبه.

كانت تلك اللحظة، بكل بساطتها وسريتها، أولى درجات صعودها نحو موقع لم يكن أحد يتخيل أنها ستبلغه بهذه السرعة.

فصل من رواية بالعنوان ذاته للروائي الأردني، صدرت حديثاً عن «دار فضاء»ات في عمان.

كلمات

قصائد

من كراس القصائد

قصائد جديدة إلى أنيت	
خالد النجار	
كنت طفلة في مهد من الخبزران وبيوكولو مطر في الأشجار وورود تشعل الذهب في زجاج النوافذ	
الكلمات لا تقال مرة أخرى مثل نهر هيراقليس أنت لا تعبره مرتين	
لا شيء كالوردة سوى الأجراس التي تذهب بعيدا في المطر	
لا شيء مثل صفور يغني في اقاصي آسيا	
لا شيء مثل صفور يغني في اقاصي آسيا	

كان المطر في الباحة والقمر كغراشة يلتمع على سطح ماء البئر وقطارات الصيف تمضي داخل أحلامي

هل تدري الساعة الحائطية بمرور الزمن؟

والحصان هل يدري أنه من فصيلة الأحصنة،

البنيت التي في النافذة البنيت التي تتأمل العصفور في قفصه وتحلم بالبحر

البنيت التي كانت تنظر إلى السماء وتكلم الزهور والقطارات

وأمي عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

الريحان أزهر حواليه عاشقاً يلثم رائحة ثياب مكنونة

وحين غادرتك إلى بيت الأبد على وقع (آية النور)

يرتلها عبد الباسط عبدالصمد شاهدت جنازة الشعر عائدة إلى المقبرة

طارقة على طارقة

اسمعت الآن من صمت المقبرة مضخة براحة خنوطك (4) حول الدار

كشبح دنوبي حول سرير احتضارك قريباً لمغفرتك

ها المغيب يُطل على نوافذ مصبوغة برئة لا زرقاء ولا حمراء

تطل كونها على أطفال يلعبون لُديسوة (5) تحت (القفريّة)

وكان غيابك لم يمر من هنا أثر ظلال الريح لشتاء قديم

بومة لم يخلق الله لا أجمل ولا أقبح منها

كانت تنظر إليّ نظرتك الأخيرة إلى ماقي البلاد

كان الزمان صار نقطة بين زمانين تُحُممني صغيراً ضاحكاً عند درج البيت

وأجمعت كبيراً باكياً في غرفة المشفى أقبل راسك هادياً لإمناً

كانتني رثيتك المتليفتين بالداء والوداع

استدوني شمالاً أو يميناً يميناً أو شمالاً نجم هائل هوى

اختل الزمان وانكسر الظهؤ في لتلك الهدئية من الدهر روحان طلعتا معا

من تحت تعريشة العنب فجراً صوب بنات نَعش

الزمانُ كان مريضاً أيضاً

عند فراش احتضارك

عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

الريحان أزهر حواليه عاشقاً يلثم رائحة ثياب مكنونة

وحين غادرتك إلى بيت الأبد على وقع (آية النور)

يرتلها عبد الباسط عبدالصمد شاهدت جنازة الشعر عائدة إلى المقبرة

طارقة على طارقة

اسمعت الآن من صمت المقبرة مضخة براحة خنوطك (4) حول الدار

كشبح دنوبي حول سرير احتضارك قريباً لمغفرتك

ها المغيب يُطل على نوافذ مصبوغة برئة لا زرقاء ولا حمراء

تطل كونها على أطفال يلعبون لُديسوة (5) تحت (القفريّة)

وكان غيابك لم يمر من هنا أثر ظلال الريح لشتاء قديم

بومة لم يخلق الله لا أجمل ولا أقبح منها

كانت تنظر إليّ نظرتك الأخيرة إلى ماقي البلاد

كان الزمان صار نقطة بين زمانين تُحُممني صغيراً ضاحكاً عند درج البيت

وأجمعت كبيراً باكياً في غرفة المشفى أقبل راسك هادياً لإمناً

كانتني رثيتك المتليفتين بالداء والوداع

استدوني شمالاً أو يميناً يميناً أو شمالاً نجم هائل هوى

اختل الزمان وانكسر الظهؤ في لتلك الهدئية من الدهر روحان طلعتا معا

من تحت تعريشة العنب فجراً صوب بنات نَعش

الزمانُ كان مريضاً أيضاً

كان المطر في الباحة والقمر كغراشة يلتمع على سطح ماء البئر وقطارات الصيف تمضي داخل أحلامي

هل تدري الساعة الحائطية بمرور الزمن؟

والحصان هل يدري أنه من فصيلة الأحصنة،

البنيت التي في النافذة البنيت التي تتأمل العصفور في قفصه وتحلم بالبحر

البنيت التي كانت تنظر إلى السماء وتكلم الزهور والقطارات

وأمي عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

الريحان أزهر حواليه عاشقاً يلثم رائحة ثياب مكنونة

وحين غادرتك إلى بيت الأبد على وقع (آية النور)

يرتلها عبد الباسط عبدالصمد شاهدت جنازة الشعر عائدة إلى المقبرة

طارقة على طارقة

اسمعت الآن من صمت المقبرة مضخة براحة خنوطك (4) حول الدار

كشبح دنوبي حول سرير احتضارك قريباً لمغفرتك

ها المغيب يُطل على نوافذ مصبوغة برئة لا زرقاء ولا حمراء

تطل كونها على أطفال يلعبون لُديسوة (5) تحت (القفريّة)

وكان غيابك لم يمر من هنا أثر ظلال الريح لشتاء قديم

بومة لم يخلق الله لا أجمل ولا أقبح منها

كانت تنظر إليّ نظرتك الأخيرة إلى ماقي البلاد

كان الزمان صار نقطة بين زمانين تُحُممني صغيراً ضاحكاً عند درج البيت

وأجمعت كبيراً باكياً في غرفة المشفى أقبل راسك هادياً لإمناً

كانتني رثيتك المتليفتين بالداء والوداع

استدوني شمالاً أو يميناً يميناً أو شمالاً نجم هائل هوى

اختل الزمان وانكسر الظهؤ في لتلك الهدئية من الدهر روحان طلعتا معا

من تحت تعريشة العنب فجراً صوب بنات نَعش

الزمانُ كان مريضاً أيضاً

عند فراش احتضارك

عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

كان المطر في الباحة والقمر كغراشة يلتمع على سطح ماء البئر وقطارات الصيف تمضي داخل أحلامي

هل تدري الساعة الحائطية بمرور الزمن؟

والحصان هل يدري أنه من فصيلة الأحصنة،

البنيت التي في النافذة البنيت التي تتأمل العصفور في قفصه وتحلم بالبحر

البنيت التي كانت تنظر إلى السماء وتكلم الزهور والقطارات

وأمي عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

الريحان أزهر حواليه عاشقاً يلثم رائحة ثياب مكنونة

وحين غادرتك إلى بيت الأبد على وقع (آية النور)

يرتلها عبد الباسط عبدالصمد شاهدت جنازة الشعر عائدة إلى المقبرة

طارقة على طارقة

اسمعت الآن من صمت المقبرة مضخة براحة خنوطك (4) حول الدار

كشبح دنوبي حول سرير احتضارك قريباً لمغفرتك

ها المغيب يُطل على نوافذ مصبوغة برئة لا زرقاء ولا حمراء

تطل كونها على أطفال يلعبون لُديسوة (5) تحت (القفريّة)

وكان غيابك لم يمر من هنا أثر ظلال الريح لشتاء قديم

بومة لم يخلق الله لا أجمل ولا أقبح منها

كانت تنظر إليّ نظرتك الأخيرة إلى ماقي البلاد

كان الزمان صار نقطة بين زمانين تُحُممني صغيراً ضاحكاً عند درج البيت

وأجمعت كبيراً باكياً في غرفة المشفى أقبل راسك هادياً لإمناً

كانتني رثيتك المتليفتين بالداء والوداع

استدوني شمالاً أو يميناً يميناً أو شمالاً نجم هائل هوى

اختل الزمان وانكسر الظهؤ في لتلك الهدئية من الدهر روحان طلعتا معا

من تحت تعريشة العنب فجراً صوب بنات نَعش

الزمانُ كان مريضاً أيضاً

عند فراش احتضارك

عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

كان المطر في الباحة والقمر كغراشة يلتمع على سطح ماء البئر وقطارات الصيف تمضي داخل أحلامي

هل تدري الساعة الحائطية بمرور الزمن؟

والحصان هل يدري أنه من فصيلة الأحصنة،

البنيت التي في النافذة البنيت التي تتأمل العصفور في قفصه وتحلم بالبحر

البنيت التي كانت تنظر إلى السماء وتكلم الزهور والقطارات

وأمي عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

الريحان أزهر حواليه عاشقاً يلثم رائحة ثياب مكنونة

وحين غادرتك إلى بيت الأبد على وقع (آية النور)

يرتلها عبد الباسط عبدالصمد شاهدت جنازة الشعر عائدة إلى المقبرة

طارقة على طارقة

اسمعت الآن من صمت المقبرة مضخة براحة خنوطك (4) حول الدار

كشبح دنوبي حول سرير احتضارك قريباً لمغفرتك

ها المغيب يُطل على نوافذ مصبوغة برئة لا زرقاء ولا حمراء

تطل كونها على أطفال يلعبون لُديسوة (5) تحت (القفريّة)

وكان غيابك لم يمر من هنا أثر ظلال الريح لشتاء قديم

بومة لم يخلق الله لا أجمل ولا أقبح منها

كانت تنظر إليّ نظرتك الأخيرة إلى ماقي البلاد

كان الزمان صار نقطة بين زمانين تُحُممني صغيراً ضاحكاً عند درج البيت

وأجمعت كبيراً باكياً في غرفة المشفى أقبل راسك هادياً لإمناً

كانتني رثيتك المتليفتين بالداء والوداع

استدوني شمالاً أو يميناً يميناً أو شمالاً نجم هائل هوى

اختل الزمان وانكسر الظهؤ في لتلك الهدئية من الدهر روحان طلعتا معا

من تحت تعريشة العنب فجراً صوب بنات نَعش

الزمانُ كان مريضاً أيضاً

عند فراش احتضارك

عند وسادة راسك... عند قدميك عند سجادة الصلاة أفرشها لسجدةك الأخيرة

تُقلَّب وجهك باتجاه القبلة فيزهر كما يُزهر وجه المؤمن بالله

الشعر صار ذرات ثراب تُهال على قبرك

الابواب

محاولة كشف نسخة أخرى من ذواتنا نجعلها وعلمنا ابتداعها

أنيت أفكر أنك زهرة في الليل

الليل الذي أجهل رغم واقعيته

أكتب القوارب غناء آخر الصيف

أرى بداجات تأتي من البحر وظل جناح فراشة يخفق فوق الماء

عائداً بكشمة من شعر أشبه بزهرة صفراء في الظلام؟

ذهبت في اصقاع مملكة الشعر تبحث كحنيفي «عن أحب الوجوه إليه»

وعدت قطائر مجنون ليلى الذبيح بترثيه خنوط جوخة بنت بن سيف!

* مختارات من مجموعة شعرية بالعنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، في عمان.

عائداً بكشمة من شعر أشبه بزهرة صفراء في الظلام؟

ذهبت في اصقاع مملكة الشعر تبحث كحنيفي «عن أحب الوجوه إليه»

وعدت قطائر مجنون ليلى الذبيح بترثيه خنوط جوخة بنت بن سيف!

* مختارات من مجموعة شعرية بالعنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، في عمان.

عائداً بكشمة من شعر أشبه بزهرة صفراء في الظلام؟

ذهبت في اصقاع مملكة الشعر تبحث كحنيفي «عن أحب الوجوه إليه»

وعدت قطائر مجنون ليلى الذبيح بترثيه خنوط جوخة بنت بن سيف!

* مختارات من مجموعة شعرية بالعنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، في عمان.

عائداً بكشمة من شعر أشبه بزهرة صفراء في الظلام؟

ذهبت في اصقاع مملكة الشعر تبحث كحنيفي «عن أحب الوجوه إليه»

وعدت قطائر مجنون ليلى الذبيح بترثيه خنوط جوخة بنت بن سيف!

* مختارات من مجموعة شعرية بالعنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، في عمان.

عائداً بكشمة من شعر أشبه بزهرة صفراء في الظلام؟

ذهبت في اصقاع مملكة الشعر تبحث كحنيفي «عن أحب الوجوه إليه»

وعدت قطائر مجنون ليلى الذبيح بترثيه خنوط جوخة بنت بن سيف!

* مختارات من مجموعة شعرية بالعنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «دار خطوط وظلال»، في عمان.

عائداً بكشمة من شعر أشبه بزهرة صفراء في الظلام؟

ذهبت في اصقاع مملكة الشعر تبحث كحنيفي «عن أحب الوجوه إليه»

وعدت قطائر مجنون ليلى الذبيح بترثيه خنوط جوخة بنت بن سيف!

* مختارات من مجموعة شعرية بالعنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «دار فضاء»ات في عمان.

أوجيت غراسيه -نساء وثلاث، (الوان مائية) وجر صيني، على ورق، (1992)



سوريا الجديدة

في سوريا الجديدة، غابت ذكرى حرب تشرين عن الروزنامة الرسمية، لكنها حضرت بقوة في ذاكرة السوريين، عبر صور الجنود والشهداء والشهادات والأعمال الفنية. وبين محاولات فصل الحرب عن النظام السابق وإعادة كتابة التاريخ، يبرز سؤال جوهري: كيف يمكن إنصاف من قاتلوا من دون اختزال تاريخ البلاد في السلطة التي حكمتها؟

من قاتل في تشرين؟



ممدوح عدوان مع رفيقه خلال الخدمة العسكرية (الصورة محشة بالذكاء الاصطناعي)

هروء جردى

«جاء تشرين... ما سرّه تشرين؟»، بهذه الكلمات لنزار قباني يمكن اختصار النقاش الدائر حول ذكرى حرب تشرين التحريرية في سوريا. من السادس من تشرين في سوريا هذا العام من دون الاحتفال الرسمي الذي رافق المناسبة لعقود. أخرجت ذكرى حرب تشرين من الروزنامة الرسمية للسلطة الجديدة، وتبدلت أسماء أمكنة حملت لفظ «تشرين» باعتباره يرتبط بفترة حكم النظام السابق، من بينها «حديقة تشرين» في دمشق. لم يؤدّ ذلك إلى اختفاء الحرب من ذاكرة السوريين أو إجبارهم على تجاهلها. على العكس، دفع بعضهم إلى استعانتها في أشكال جديدة أخرى: صور الجنود، وأسماء الشهداء، ومذكرات المشاركين، والأدب، والدراما، والأرشيف العسكري المتداول حديثاً.

في هذه الاستعادة، تظهر قاعدة إسناد جديدة للتاريخ السوري، تشبه إلى حد ما حرب الإسناد التي خاضها الجيش السوري لـ82 يوماً بمفرده بعد توقف القتال على الجبهة المصرية بسبب توصلهم إلى اتفاق منفرد مع إسرائيل تحت حكم أنور السادات. لكن الإسناد اليوم يقوم على الاحتفاظ والاحتفاء بذكرى حرب تشرين رغم السلطات السورية الجديدة، لكن من دون زيادة المخاطر عبر فصل الحرب كإنجاز تاريخي عن النظام السابق وجيشه، والعمل على نسب الحرب إلى الأفراد الجنود والضباط والشهداء والشعب ككائنات فردية لا تنتظم ضمن مؤسسات.

هذا الفصل يتعلق فقط بما يخص الجانب الجيد من حكم الأسد، بينما تُعاد الهزائم والانتهاكات والسياسات الخاطئة إلى التذكير بالنظام وقيادته، فتركز السلطة الحالية وجمهورها على استعادة نكسة حزيران 1967 وفشل وزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد في الحرب، فيما لا تنطبق المعايير نفسها على حرب تشرين التي جرت تحت حكمه كرئيس للبلاد.

الفصل بين الدولة والنظام والحزب والجيش

ووسائل التواصل، كعملية فرز جديدة للماضي، فما يُمكن إدانة المرحلة السابقة من خلاله يتم استعادته، فيما يهمل الجانب الذي يستعيد صورة جيدة عن السلطة التي وقع في عهدها. ساعد في ذلك فقر مزمن في التوثيق السوري المستقل، فقد ترك الاستبداد وراءه وفرة في أدبيات القمع، مقابل ندرة في شهادات الجيش وصناع القرار وتفاصيل الحروب التي خاضتها الدولة. وحين سقط النظام، لم يظهر الماضي كاملاً، بل ظهر ما كان متاحاً للتداول.

تبدو هذه الفجوة أكثر وضوحاً في تاريخ الوجود السوري في لبنان خلال الاجتياح الإسرائيلي 1982. المعرفة العامة بالمواجهة السورية - الإسرائيلية خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان محدودة، تركّز على الهزيمة، رغم أن القوات السورية خاضت مواجهة مباشرة مع إسرائيل، وتكبّدت خسائر جسيمة في سلاح الجو والدفاع الجوي، لكنها في المقابل خاضت معارك برية حققت فيها نتائج كبيرة، من أبرزها سلطان يعقوب. فالجيش السوري واجه التفوق الإسرائيلي، وخاضت وحداته البرية اشتباكات مباشرة.

اليوم تتكرر المعضلة في سوريا في كل مرة يتم فيها فتح دفاتر الماضي والتاريخ، حيث يختفي التاريخ المركب. فالجيش كان مؤسسة تابعة لدولة يقودها حافظ الأسد، لكن جنوده وضباطه كانوا أيضاً أفراداً وجدوا أنفسهم في مواجهة إسرائيل، ولا يمكن محو فعلهم لأن القيادة التي أرسلتهم أصبحت موضع إدانة. وهو ما ينسحب على عمل كل المؤسسات المرتبطة بخمسين سنة من عمر البلاد.

ليست المشكلة في نقد الماضي، بل في إدانته من دون مواجهة حقيقية تسال «أين أصاب النظام السابق وأين أخطأ؟»، والاعتماد فقط على المذكرات والأرشيفات والشهادات التي تناسب السلطة الجديدة. هكذا تصبح عبارة «من يتحكم بالماضي يتحكم بالمستقبل» من رواية جورج أورويل عن ديستوبيا مستقبلية حقيقة واقعية من اللحظة السورية الراهنة.

لكن الفصل الكامل لا يستقيم تاريخياً. كانت حرب تشرين قراراً للدولة السورية، وخطة للقيادة العسكرية، وعملاً نفذه الجيش، وتضحية قدمها ضباط وجنود وطيارون وأفراد دفاع جوي.

نصر أكتوبر غير تشرين!

في الذكرى الثالثة والخمسين لحرب تشرين، تداول السوريون صورة للفنانة أصالة ترفع فيها العلم المصري، كانت نشرتها على حسابها على إنستغرام، وكتب عليها: «6 أكتوبر - ذكرى النصر»، وأرفقتها برسالة: «بنحبك مصر». جاء ذلك بعد أسابيع من عودتها إلى دمشق، حيث أحييت حفلة ضخمة في ظل السلطة الجديدة التي حذفت ذكرى حرب تشرين من أجندتها الرسمية. خطوة أثارت حينها غضباً مصرياً واسعاً، بسبب ما اعتُبر تنكراً سورياً لنصر تشرين.

لكن الأمر لم يتوقف عند أصالة. نشرت السفارة السورية في القاهرة ما يفيد بالتزامها بالعطلة الرسمية في البلد المضيف، من دون الإشارة إلى أن المناسبة هي ذكرى «نصر أكتوبر». بدا ذلك، بالنسبة إلى كثير من المصريين، تنجناً متعمداً لتهنئة مصر بذكرى النصر، وأثار موجة غضب دفعت السفارة إلى حذف المنشور وتعطيل التعليقات على صفحتها. في سوريا، تُعرف الحرب باسم حرب تشرين، فيما تُعرف في مصر باسم نصر أكتوبر، بما يكشف عن اختلاف أعمق في الطريقة التي يتم بها تعريف تلك الحرب وموقعها في الذاكرة السياسية للبلدين. وكان سابقاً الخلاف على ذهاب مصر باتجاه «صلح» منفرد مع إسرائيل، وترك الجبهة السورية تخوض حرب استنزاف بمفردها، بينما هي اليوم خلاف على النصر من أصله، وترك الجمهور السوري يخوض حرب إسناد وحده دفاعاً عن ذكرى تشرين بكل نتائجها.

الصمت يترك مجالاً لإعادة الكتابة

منذ سقوط الأسد، عادت مرحلة الأب والابن إلى التداول من بوابة المذكرات والشهادات والأرشيفات

والأفراد ضروري لفهم المسؤولية، لكن تحويله إلى قاعدة انتقائية يعيد إنتاج المشكلة نفسها التي عرفتها الذاكرة الرسمية السابقة: اختزال التاريخ في فاعل سياسي واحد، وحرب تشرين مثال واضح على ذلك.

الذاكرة تبحث عن مخرج

مشهد من مسلسل «الفصول الأربعة» حيث يلتقي رفاق حرب تشرين من المغرب والشام، وصورة لممدوح عدوان مع رفيقه خلال الخدمة العسكرية، وأبيات من قصيدة لنزار، وصور للأبناء الشهداء، ومقاطع فيديو للأسرى الإسرائيليين... استعيدت حرب تشرين هذا العام عبر شخصيات يصعب إدراجها في الرواية الرسمية الجديدة.

وكان ممدوح عدوان، الذي شارك مراسلاً حربياً، أحد أبرز هذه الأسماء. كتب نجله في تعليق على صورة والده: «حرب تشرين حدثت، لا نعرف نوايا القادة يومها، لكن نعرف أن آباءنا وأجدادنا أعطوا كل ما لديهم، وقاتلوا فيها بشرف وبسالة».

الجملة تفصل بين الحرب وقيادتها السياسية، وتمنح الذاكرة الفردية أولوية على الرواية الرسمية. استعيدت في السياق نفسه نصوص نزار قباني المرتبطة بتشرين، ومشاهد من الدراما السورية، وأفلام أنتجت في السنوات التي تلت الحرب، من بينها عبارة «ألف حبل مشنقة ولا يقولوا بو عمر خاين يا خديجة» من فيلم سوري عرضه التلفزيون عام 1974، بعد أشهر على حرب تشرين، وقد بقيت بعض جملة في الذاكرة الشعبية السورية.

ليست هذه الاستعادة مجرد حنين إلى منتجات ثقافية قديمة. إنها طريقة لاستعادة حرب أصبحت مرتبطة سياسياً بالنظام الذي حكم سوريا طويلاً، من خلال أفراد وشخصيات يمكن فصلهم عنه بسهولة أكبر.

وهذا يفسر استحضار بعضهم لذكرى الحرب عبر ما كتبه الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم، بأنها حرب «ولاد الفلاحين» والعَمَل ضد «إسرائيل» في قصيدته «ضليّة فوق رأس الشهيد» التي يقول فيها «اسم النبي يحرس خطاهم من خطاهم».